

أبرشادي

الاسلام السحي

تجليد
صالح الدقر
بيروت - المزرعة

291

H10

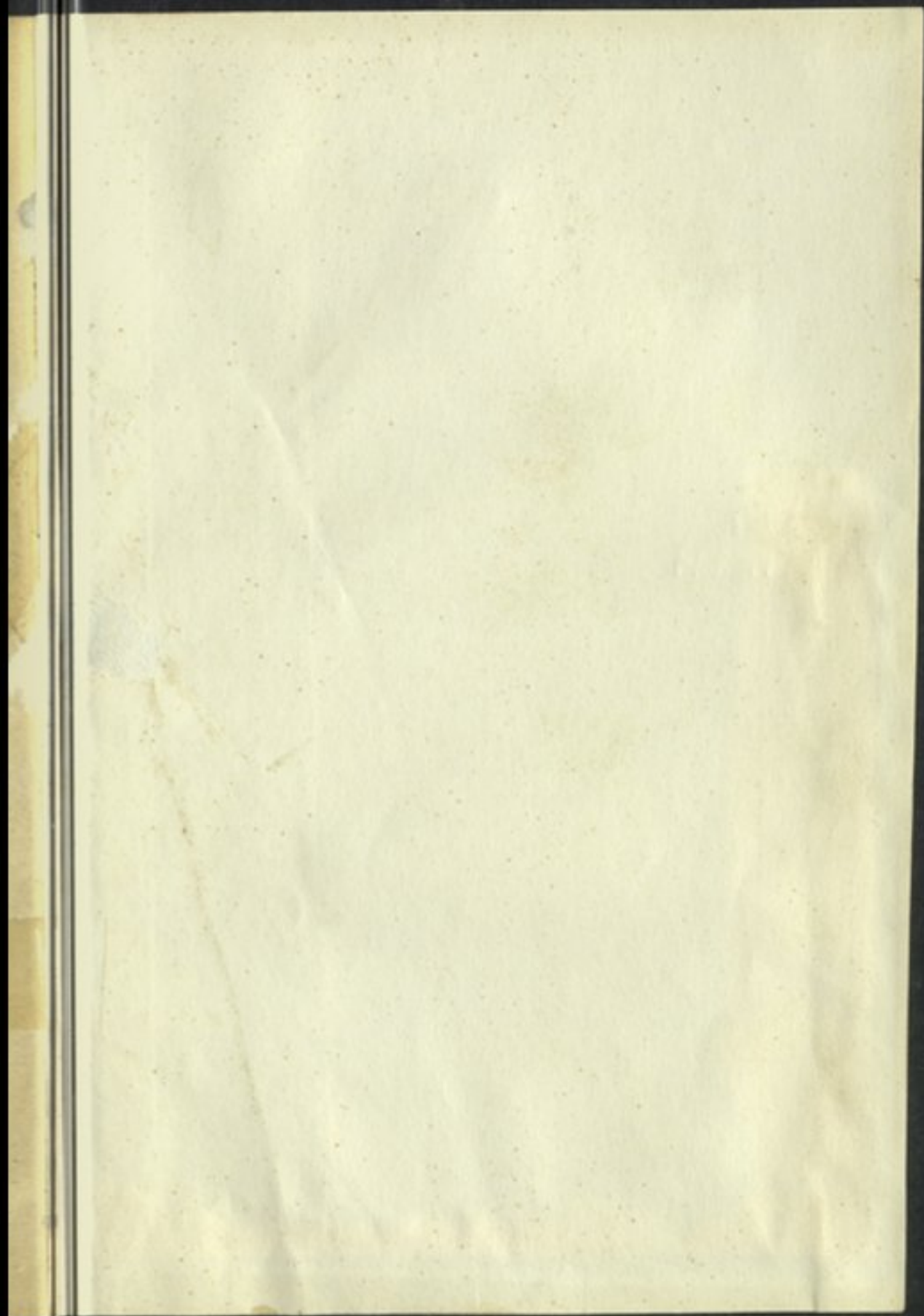
CMV-11

MAV

280

4

1



297
A5241A
C.1

الدكتور احمد زكي ابو شادي

الإسلام والحی

قدم له ونشره

رضوان ابراهيم

راجلة الأدب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة — مايو ١٩٥٥

مطبعة المعهد القبطي الخيري بالقاهرة

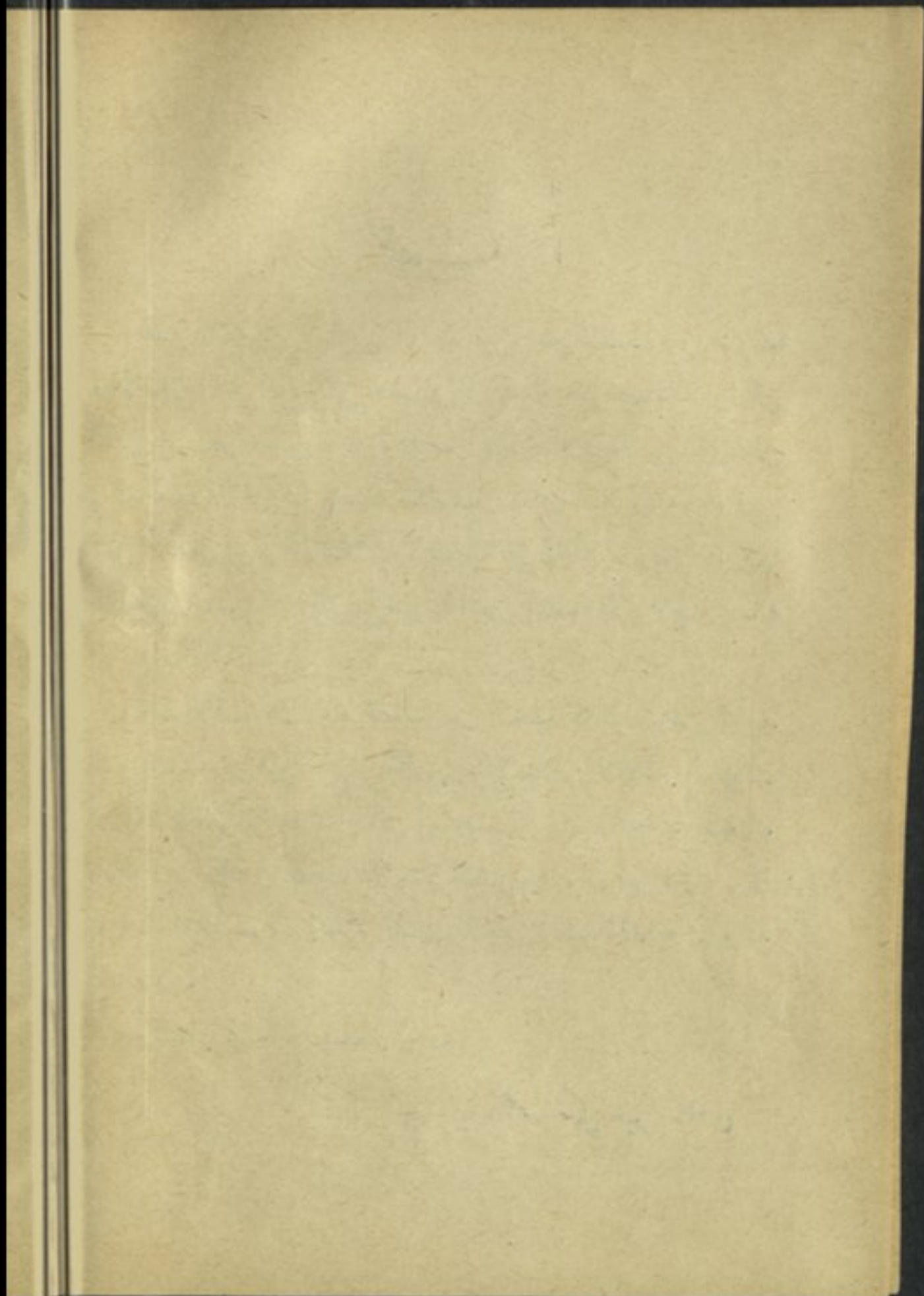
تحيية

هذه طائفة من أحاديث الاسلاميه ، عنوانها وموضوعها
« الاسلام الحى » ، وهى محصورة فى خمسة عشر حديثاً ، ويمكن
آفاقها غير محصورة . وجميعها أعدته للإذاعة من واشنطن
(العاصمة الأمريكية) منذ منتصف سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، فهى
تمثل أحدث آرائى الاسلاميه التقدمية التى لا أعرف سواها كنها
للإسلام الكريم ، والتى على ضوءها أشعر بعظمة الإسلام وبقيمنه
الإنسانية الخالدة .

وقد لاقت هذه السلسلة من التحييد كما لقيت من التأييد
الشريف — بوصفى المحرر الأدبى والإسلامى للإذاعة (صوت
أمريكا) العربية — ما جعلنى أستجيب للرغبة الملحة فى طبعتها ،
تاركاً أمراً ذلك فى كنف الأستاذ القدير رضوان إبراهيم ، ولا
غاية لنا جميعاً سوى إعلاء كلمة الحق ونشر الهداية . والله
المستعان ؟

وشنطن فى نهاية ديسمبر ١٩٥٤

أحمد زكى أبو سادى



مقدمة

الاسلام دين الانسانية

أحقاً أن عهد الأديان قد انقضى ؟

وأن الدين قد أض غلا يبهظ رقاب البشرية ويمثل في الناس
وظيفة القيصرية، يأمر وينهى، يعتسف بركب الانسانية طريقاً جائراً
لا هدف له، ويصددها عن موكب الحضارة المنطلق نحو غاية مثلى ؟
أحقاً أن الانسانية مستطبعة - بحاسة العلم ، وذكاء الفطرة -
أن تحمل أوزارها على ظهرها ، وتمضى إلى غايتها ، غير وانية ،
ولا متعثرة ، ولا مبجلة الخطو ، ولا متسائلة : أين الطريق ؟ ..
وما الهدف ؟

إن هتافاً مجلجلاً يصرخ دائماً في أعماق الانسانية : أن لا !!
ففي أحضان الدين وحده استروحت الانسانية أنسام الحياة
الحررة الطليقة العاملة ، وفي ضيائه حملت مقوماتها ، ومضت ترسم
لنفسها الهدف ، وإليه تفرع كلما طاقت بها مخاوف الحياة .. وما
بعد الحياة ، تنكئ عليه في عثراتها ، وتتشبث به في نهضاتها .

وما كانت التجارب الأرضية كافية لنقود التفوق البشرى إلى
هدف جدير بآدمية كرمها الخالق ، وذل لها شوامخ القمم ،
وأعماق المنحدرات ، وظواهر الحياة وخوافيها ، لتمتد في أحضان
رحمته ، وتستريح إلى قوته لا إلى ضعفها ، وتعلق بإرادته قبل
إرادتها .

ربما استيقظت الانسانية فوجدت نفسها قبل أن تجد دينها .
ذلك حق ، ولكن من الحق كذلك أنها تخطت ، وطال
تخطها ، وأدمت أقدامها أشواك الطريق ، ونزفت جراحها على
مدارج الضلال قبل أن تنتشلها يد السماء ، فتسمح جراحها ،
وتدفعها في طريق لاجب إلى نبع النور ، وصخرة الحق .

لم تضمن السماء على الانسانية - كلما أزمته كربات الأرض -
أن تضيء أمامها سبيل البقاء والسلام ، وأن تمنحها السداد الذى
يوقى العثرات ، ويجنبها النكسة المردية ، ويؤمنها من الضلال
في رحلتها نحو المثالية المنظورة .

وما كانت تبعة السماء نحو الأرض بأقل من تبعة البشرية
المثقلة بأوزارها ، وهى تجتاز الدروب ، وتصعد فى المدارج

الوعرة نحو الآفاق السامية الكريمة الجديرة بالإنسان . . . آخر
حلقات التطور الحيوى ، وأسمى ما صورته الارادة العليا ، وأقرب
الاحياء من العقل الكامل ،

والإنسان الاخير - الذى نحياه اليوم - خلاصة لتطورات
طبيعية عديدة ، وتناج تجارب تعليمية مكثفة ، أسهمت فيها السماء
بقدر أوفر ، ونصيب أوفى .

ولو كانت القوى البشرية كافية للوصول إلى قمة التطور
بمفردها - لما كان الاله فى حاجة ليعرض أصفياه ومختاريه لقمة
الأرض ، وثورة التراب .

ولولا رحمة حانية بالانسانية لما اختار مرسله من صميمها . .
من غمار الذين يدبون على التراب ، لتمزج الرحمة بالمعجزة ،
وليكون الاقناع عميقاً راضياً ، بلا قهر ولا اكراه .

ولولا حكمة تدق وتنسamy ، لنفضت السماء تعالىهم - اجملة
وتركتها تكافح العصور ، ووكلت اليها البشرية تتعثر فى شباكها
فلا تنهض . . ولكنها حكمة التطور والاناة ، ولكم حنو السماء
وجرها بالأرض .

أفئن رشدت الانسانية تلوى بالعقوق ، وتنحى بالتمرد ،
وتمشى بالنجنى ، وتفتكر لماضيها الطويل ، الذى كان وشيكاً أن
يضل ويتعثر ، ويقنأثر - فى فضاء الازل - ضباباً معتماً ، وهباء
مبدداً - لولا الديانات الرحيمة ، عصمته وآزرته ، ووثقت حلقاته .
أفئن شبت الإنسانية تناست طفولتها ، وتبجحت بذكائها ،
وجاهرت بأن الأديان لم تصنع ولن تصنع .. فاذا جلجل
صوت التاريخ ، تراجعت تحتفظ بخطوطها ، لنقول : إن الأديان
كانت تساند الانسانية البائدة ، أما انسانية الانسان الحديث ،
المثقف ، العالم ، المتمدين ، الذى أشرب تجارب البشرية فى رحلتها
الطويلة الخافلة - فماذا تصنع له الأديان بعد ؟ ١١٩

لقد أدت الأديان دورها فى حياة الانسان البدائى ، وانتهت ..
لقد أصبحت مرتعشة اليد ، مثقلة الخطو ، وعادت صحبتها فى
مضمار الحياة الجديدة - بذت الذرة والاثير - معوقاً يثقل خطو
الحضارة ، ويشدها إلى الخلف .. إلى حياة الكهوف ، وصراع

الغابات ١١

أفحق هذا ؟

أفحق أنها دعوة تقوم على ركائز من فروق ما بين الدين الحق

والوثنية المتعالمه ؟

.. أم إنها شبه غائمة ، تسربت من أشباح تتحرك على مسرح

الحياة باسم الدين ؟

وأن السطحية والشك والواقع الالحادي ، والفلق المتملئ ،
والاسترواح إلى الخطيئة ، والتحلل من فضائل الأديان — في جهة ،
والمسخ والتشويه والانحراف الذي يلي به الدين بيد محترفيه ،
والانتكاس به إلى معاسرات مفتعلة — من جهة أخرى جعل الناس
ينفرون منه ، ويخاصمون ، وينقمون عليه ، ويتهاربون من
طريقه إلى آفاق من الالحاد المبيد ؟

إن شبها كثيرة من السواد الذي ران على هذا الوجه الأبلج
قد نفر الناس عن صداقته ، وخوفهم صحبته ، وطاردتهم عنه ،
لا يقبلون منه عدلا ولا صرفاً ، ولا يشفون منه في حل ولا
حرمة ، ولا يرون فيه إلا قوة « بوليسية » رهيبة رعناء ، تحول
دون مبتغاهم ، وتقف في سبيل أمانهم ، شاهرة سلاح الرجعية
البغيض ، وعلى شفيتها دائماً كلمتان : الخطيئة ، والعذاب . وفي
يدها دائماً لفحة من جهنم ، يتلظى بها طريد السلطات
المتوشحة بوشاح الدين ، لا تميز بين الدين في جوهره ، وبين
رجالها ومحترفيه ، فلا ترفعه إلى منزلة سماوية رحيمة عالمة بطباع
البشرية وما تدفق في شرايينها من غرائز وشهوات ، ولا تنزل

بهؤلاء المحترفين إلى مرتبة بشرية يجوز عليها الخطأ والصواب .
واسنا نتساءل عن مهمة هؤلاء ، فما نعرف لهم مهمة ليست
لسائر المتدينين ، ولكننا نتساءل : ماذا بذلوا لهذا الدين من
وسائل البقاء والانبعاث والخلود ؟

الحق أن رجال الدين لم يصنعوا بدينهم سوى أن حبسوه
في المعابد ، وباعدوا بينه وبين الحياة ، وألبسوه من تزمتهم وضيق
آفاقهم ، وحشدوا له من البذع والخرافات مواكب ، تغشى
جوهره ، فلا تبين فيه سنة ولا بدعة ، بل لقد كان تنطعهم
في الدين داعية لقوم آخرين أن يحرفوه عن مواضعه ، فتسهبوا
وتسمحوا ، وأغروا به الناس ، وشككواهم في مهمته ومساندته
للحياة .

وبين التسهل الإباحي والتزمت القاتم ، حار الدين ، وحار
معه عامة المتدينين ، وأمسوا مخطوفى البصر ، مبلي الأفكار بين
هؤلاء وأولئك .

ولقد كانت الروحية في الشرق رثة نازقة ، تسربت منها
سموم الخرافات — أول ما تسربت — إلى العقلية المتدينة ،
فبهرتها بالزيف ، يوم بذرت في مزرعة الدين ، ورويت بمستنقع

الجهل الآسن ، وتسلفت طفيلياتها تحجب نبتة الدين ، حتى
لا يبين القديس من المهرج ، ولا تتكشف المعجزة في
أبخرة السحر .

وكان الخنوع الذليل ، والتكشف المصطنع المتهاك ، والتواكل
المزرى ، سمات — لرجل الدين ، وشبهات عميت في ظلماتها القيم
فشبهت السنة بالبدعة ، واختلط الدرويش بالتقى ، حتى وهم الناس
أن الدين في صميمه دعوة إلى التواكل والبطالة والشعوذة
والتسول الذليل المتراعى حول الأضرحة ، المبعثر بين المقابر .

وعرف محترفو السياسة بالتجربة أن العاطفة الدينية سلسلة
تقاد بها الشعوب الشرقية ، فأمسكوا بطرفها .

ونحن لم نفهم بعد ، ولن نفهم أن الدين عاش طويلا من
الدهر عنوان الخديعة والتضليل واستغلال الأمم .

لقد ظلم الدين نفسه وهو يستهدف للرجوم المتطايرة بين
المستخلفين وطلاب المغانم من الأحزاب السياسية والفرق
الاسلامية منذ ضحى التاريخ .

واتخذ الدين الكاذب مطايا سياسية ذلولا للخديعة والنفعية
في العصور التي نعيش في ظلها اليوم .

.. ان نذرى أن خليفة المسلمين الأعظم ، وقع المنشور
الانجليزى الغادر ، يدمغ ، و احمد عرابى ، الشائر الحر بوصمة
الكفر ، والخروج على دين مزيف ، ولم يكتف الخليفة بأن
يحتفى به من سهام المجاهدين الأحرار ، فلم يقنع حتى صنع منه
درعاً للاستعمار ، يستبد فى ظلاله بدماء الشعوب .

ولن يغيب عنا أن جده الأول ، محمد الفاتح ، تأمر على
الاسلام فى الأندلس ، ليسلم له لقب أمير المؤمنين ، مضحياً بخمسة
ملايين من المسلمين مالت أعناقهم على مقصلة محاكم التفتيش ،
ثم جثا الاسلام ، واستسلم للواقع الذليل ، ليتلاشى عن أمنع
قلاع العالم يومئذ !!

وباسم هذه الخلافة ارتكب السلطان سليم مخازيه فى إبادة
أبناء العباس ، وانتهاك أعراض مسلمة كريمة انحدرت من
صلب عبد المطلب بن هاشم ..

وفى ظلال الدين المجنى عليه مكن الأتراك لروسيا أن
تبديد التار ..

وحكم الأتراك ، هولاندة ، الغربية فى رقاب « جاوة »
الشرقية المسلمة ..

وباع الأتراك العالم العربي الاسلامي للشركة (الانجلو
فرنسية) بيع العبيد الأذلاء ..

لن ننسى هذا ..

ولن ننسى أن الدين هو الدخان الذي أطلقه المستعمر ،
ليزحف تحت ستاره على مقدساتنا ، ويزلزل حصون قوميتنا ،
ويفتت صلابة مجتمعاتنا .

وهو السلاح الذي شهره المستعمر يوم شاء أن يبعثر وحدة
الامة شيعاً وطوائف ، ليظفر بنا آحاداً بعد أن غص بنا جماعات ،
لولا يقظة واعية شامت أن تدمر استحكاماته ، فترفت من
وضاعة التدين الكاذب ، لتعتصم بقيمة الوطنية المنيعه .

سيظل في وعينا أن هذا الدين سند كل طاغية وكل فاجر
وكل جبار أثيم وهو ينسكل بقوة الامة ، ويخذلها عن حقها في
الحرية الكريمة .

ولرجالهم — يومئذ — مهمة غير كريمة .. أن يتنادوا بالسمع
والطاعة ، وأن يستخرجوا من جرابهم البالي نصامن النصوص
يلتوون به عن القصد ، ويقسرونه على إرادة الظالمين ، ويصوغونه
أطواقاً وسلاسل تقعد بالامة عن الانبعاث في سبيل حريتها
وتفوقها ..

وفي المناسبات العديدة المتناقضة ، انطلقت الآية الكريمة :
«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر» — مقسورة مقهورة
متحشجة ، من طول ما حرفت عن مواضعها ، والتوت عن سبيلها .
وامتلأت الأشداق ترعش اللحي البيضاء بكلمات : «اسمعوا
وأطيعوا ، وإن ولي عليكم عبد حبشي ،

ونسيت ركيزة ديمقراطية صريحة منضوثة انبعثت كالآذان في
فجر الاسلام : «أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا
طاعة لي عليكم ١١» ،

وما أكثر ما صدرت الفتاوى معلنة بأصواتها الكريهة الذليلة
من وراء مقابر العبيد — تبرير الطغيان ، وتحليل الاستبداد
بأرواح الناس وأعراضهم وأموالهم .

ومن تمام المأساة أن يصبح الدين سوقاً مقفلة ، يحتكرها
أناس يقومونها بأرقام الارباح والخسائر ، ويروونها — آمن
يريدون الدين خالصاً للجميع ، ودعامة لانسانية حرة واعية ،
وضياء في سبيل البشرية الهادفة .

فاذا دخل هذه الساحة الكريمة السماحة داخل ، انطلقت
عليه قذائف السدنة تمطر كلا على قدره ، فواحد تصمقه قنبلة
الكفر ، وآخر تكفيه طلقة الاحاد ، وثالث تليق به قذيفة الشرك ،
وهكذا . . كل على قدره ١١

أفذلك هو دين السماء الذي ارادته سمواً للناس أجمعين ،
واندفاعاً إلى الملائكة الأعلى ، واقتراباً من الخالق الأجل ؟
كلا . . فما أراد الله تجارة يحتكرها المحترفون .
لا . وليس الدين إباحية تنطلق بها الحيوانية الجائعة عارية
من كل قيد ، ناشزة من كل فضيلة ، ولو كان الدين هذا أو ذاك
لما صلح لنا وما صلحنا عليه يوماً .
فهل تكون الانسانية الحديثة أكثر وعياً ، وأعمق من هذه
السطحية الزائفة التي تحجب الدين عن الأعين العابرة ، وتبدله من
ثيابه هلاهيل ومرفعات ؟
ما عبثاً أراد الله أن تتدين ، وما كان لهذه الانقلابات
الخطيرة في حياة البشرية أن تحدث ، وأن تراق في سبيل الأديان
دماء الملايين من المؤمنين ، يساقون إلى ظلمات السجون والقبور
زمرأ زمراً في كل عصر .
وأن تتعرض المسيحية لنكال القيصرية أياماً ، وتضطلي
نار الأخدود ليالى سوداء . .
وأن يجتاز الاسلام أفسى المحن ، وتزلزل من تحته أرض
العبيد وهو ثابت شامخ تسانده السماء .
ما كان الرب بمنضج هذه الأحداث ، ولا جاعل وقودها نفوساً

بشرية عزيزة ، لو أراد أن تتدين بالخرافة التي تمشي فينا
باسم الدين .

إذن فلا بد للإنسانية من دين . . ولكنه الدين الخالص
الحى النامى .

وإذن فلا مفر من تجديد لهذا الدين ، ولا مفر من إعادة
شبابه ، ولكن . . أين المصل ؟

لنضرب صفحاً عن المتجرين بالدين ، وعن المخدوعين
بالمادية المادية العرجاء .

ولنصحب هذه القلة الواعية العالمة المؤمنة ، التي تمسك بجوهر
الدين فى قبضة وبحقائق العلم فى الأخرى ، ثم تقرب ما بين
الجوهرين الكريمين ، ليتفاعلا تفاعلاً إنسانياً إلهياً كريماً ، فتنصهر
فى تفاعلها كثير من القيم ، وتذوب كثير من الأغشية ، وتساقط
حفنة محترقة من الزوائف ، ويخلص من بعد هذا وذاك حق
صراح لا باطل فيه .

من هؤلاء الرواد فى حاضرنا كان محمد عبده ، وحواريه
رشيد رضا ، وجاويش ، وطنطاوى جوهرى ، والمراغى ،
ونظراؤهم ممن تعمقوا الدين ، وخبروا مروته ، وجربوا قدرته
على المغامرة فى زحمة الحياة الحديثة .

ومن أعلام هذا الاتجاه الرشيد، الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي
تفرد بأسلوب أدق وأعمق وأوضح، هيأته له مقاييسه الدقيقة
الحقة، وتربيته العلمية المحضة، وتجارية الحيوية العملية الواسعة.
وبروح الشاعر، وفكرة الفيلسوف، وتجربة العالم،
وريشة الفنان، ودقة الخبير. يتناول الزوايا المختلفة للإسلام،
فيقضي فيها حق الدين، وأمانة العلم، وواجب البحث الحر،
وضريبة الفكر، وزكاة الروح.

ومن أفق علمي بأوسع ما في الروح العلمي، ديني إلى مدى
لا يحده تعصب ولا تزم، يعالج الفكرة الدينية، في ضوء
المقومات الانسانية العالية.

ولقد أتيح له أن يذيع فصوله الاسلامية هذه التي يوفق فيها
بين العلم والاسلام ثم بين الاسلام والديانات الاخرى،
ثم يوفق بين خلاصة الأديان وبين الانسانية توفيقاً جديداً،
في زمالة سعيدة تهون المصاعب، وتحقق أمانى البشرية
في الحياة.

ولقد اقتبسنا بالأمس من آرائه التي زاولها منذ ربع قرن
كتابنا، عظمة الاسلام، فلقى الكثير من التقدير، وشيئاً غير
قليل من الامتناع.

والسلسلة التي نقدمها اليوم تحمل طابعاً جديداً في فكرتها
وطريقة عرضها وإن دارت حول موضوعات الاسلام الخالدة .
وهي استجابة واعية لما يضطرب به عقل إنسان هذه الآونة
المرتعشة في الشرق والغرب .

وليست هذه الأحاديث في سبيل الدين بقدر ما هي في سبيل
الانسانية .

ولسنا في حاجة أن نتحدث فيها حديثاً موضوعياً ، وإنما
نؤثر أن ندعها تقدم نفسها لقراءتها ، تتحدث إليهم حديثها
الواضح الميسور الهادف .

ولا نرجو للقارئ أن يستريح إلى ما في هذا الكتاب من
فكرات ثائرة ، فما في حسابان أبي شاذي أن يريح قراءه ،
ولكن أن يثيرهم ، ويحرضهم وأن يدفعهم إلى الطريق ظامئين
يبحثون عن منابع النور ، ولا عليه إن لم يظفر بأعجابهم ، وسرعة
استجابتهم ، وانبهارهم العاطفي .

ولا يتساءل - من بعد - أسحبه القارئ في دربه الواضح
أم انحرف . . كل ما يعنيه أن يأخذ القارئ عن يده أو يترك
عن يده !!

رضوانه ابراهيم

أركان الاسلام

تعريف أركان الاسلام يختلف في نظر بعض الناس بالنسبة للشكليات أو للباب الخالص من الدين .

والحقيقة أنه لا يوجد ثمة أى اختلاف ، لأن الشكليات لا يمكن أن تعد أركاناً لآى دين .

والمسلمون يعتقدون أن دينهم ليس بدين جديد ، وإنما هو امتداد لدين التوحيد الذى بشر به العهدان القديم والجديد .

ألم يحىء فى (التوراة) المقدسة . : أنا الله وليس
سواى . أنا الله ليس مثلى . . . أنا الله ليس سواى يقول الرب ؟

ألم يقل (الانجيل) أن ليس إله واحد ؟ (فالقرآن)
يؤكد كل هذا وعلى الأخص فى سورة الاخلاص .

والاسلام يعتبر من أركانه الإيمان بقدرة الإنسان على التسامى ، ولا يعده خاطئاً أثيماً ، فى حاجة إلى أن يقدس .
فالإنسان الخاطئ الأثيم فى نظر الاسلام هو الإنسان الأول

المتوحش المعتدى، كما تصنع وحوش الغابة ، ويعتبر أنه على وفاق تام مع الكتب المقدسة السابقة في هذا الاعتبار ، وأن تقدم الانسان مطرد حسب السنن الالهية ، وأن خير أداة للتقدم هي العلم ، ولذلك نوه (القرآن) الكريم أعظم تنويه بالقلم وبالعلم والبحث .

وقد ورث الاسلام أقاصيص دينية شتى ، فاحتفظ بشكليتها وأسبغ عليها في الوقت ذاته معاني فلسفية نيرة . مثال ذلك تضحية الدم ، فقد اعتبرها رمزاً لتضحية الشهوات وتطهير القلوب ، واعتبر من نتائجها البر بالفقراء في موسم الحج .

ويتفق المسلمون الأبرار مع سواهم من الموحدين الأبرار في « أن الديانة الحقيقية ليست أمراً خارجياً فقط ، بل هي داخلية أيضاً ، ، وفي « أننا لا نستفيد شيئاً من صلواتنا وأصوامنا الخارجية وما أشبه بدون القداسة الداخلية ، ، وأن الذبيحة التي يحبها الله هي القلب المنكسر أى النفس النائية المتضعة ، .

وليس معنى ما تقدم أن الانسانية قد ابتعدت عن الخطيئة والإثم ، فشمة الملايين من البشر وجملة من الشعوب ما تزال غارقة في غمارها ، ولا منقذ لها غير الثقيف والتدين ، وترقية الاخلاق ، وحب الانسان لأخيه الانسان حبه لنفسه .

ومع ذلك فقد ترقّت الانسانية إلى درجة عظيمة بالنسبة لما كانت عليه منذ آلاف السنين، بله آلاف العقود منها .
وإشارة (القرآن) الكريم إلى الانسان في قوله : « قتل الانسان ما أكفره ، وفي قوله : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » — هذه الاشارة منصبة على عهود الطغيان ، ومقصود بها الحث على التطهير حثاً عنيفاً إلى أبعد الغايات ، وليس الغرض منها بداهة الحكم على البشرية بالنجاسة الابدية وبالخطيئة المستمرة ، (فالقرآن) الكريم والاحاديث النبوية الشريفة تشعر بعكس ذلك تماماً ، وتفسح أمام البشرية الأمل في بلوغ الكمال .

والاسلام دين عقل وجداني ، وليس عقيدة خرافية دستورها الاساطير والالوهام ، والعلم سلاح الدين في عرف الاسلام ، وهو سراج ودستوره أيضاً . قال تعالى في كتابه العزيز : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، والاسلام الذي يقول نبيه الكريم : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، لا يقر بمفسر لمبادئه غير العلم ، ورسوله الذي يعتبر مداد العالم أقدس من دم الشهيد ، قد أثبت بأقوى لغة أن العلم من أركان الاسلام الأساسية ، ولذلك لم يبالغ من يقول إن كل نظرية أو تفسير لا يتماشى مع العلم يجب أن يعتبر

غريباً ، عنه وينبغي أن ينبذ نبذاً .

والاسلام الحى النير ، يعتبر الانسان مسيراً بالنسبة للعالم ونظامه ، مخيراً بالنسبة لسلوكه الشخصى على ضوء العلم الذى يحثه الله عليه ، وترشده الطبيعة إليه . والانسان فى نظر الاسلام هو وحده القادر على خلاص نفسه من الشر وعواقبه ، فعليه أن يربى نفسه بنفسه ، متشرباً بالإيثار ، ومضحياً بالسفاسف ، أما التضحية بالدم فليست عند المسلمين غير مجرد رمز تقليدى موروث عن اليهودية والمسيحية كما ذكرنا قبلاً ، ولا يعدو مغزاها التضحية بالآهواء وتطهير القلوب ، ويعتبر الاسلام أن الانسان نبيل المعدن ، وأنه أرقى ما أبدعته الطبيعة ، ولا يتلف معدنه كقرون ، إذا ما أسعفه العلم والتهديب ، وأنه فى غير حاجة إلى مخلص خارجى ، وأن الانسان سليل الطبيعة وابن الله ، وقد تعالى الله عن أن يكون نظام عالمه فوضى من الخرافات ، أو قائماً على الذبيحة والدم ، ووضع الانسان إلى الأبد موضع الخطيئة الاثيم . والاسلام يحل الله سبحانه وتعالى عن أن يكون ذاكاً مستبدة تلهو كما يلهو نيرون بتعذيب الناس وحرق رومة ا

وللشاعر ، أو للرسام ، أو للفنان إجمالاً أن يصور سفك الدم ضرورة لنيل المغفرة ، ولكن الاسلام — الدين العقلى الاعظم

— يعد هذا هراء ، ويتفق مع المسيحية الاصلية في أن دم الحيوان لا يكفر عن خطية انسان ، وأن كل الضحايا التي أمر الله بها ليست إلا رمزاً للضحية الحقيقية ، وهي شهوة الانسان المتدلية ، وأن خلاص البشرية من الشقاء ، إنما يكون بالايمان العملي الصحيح ، فالدين المعاملة ، وخير المعاملة ما استند إلى المحبة ، والثقة ، والمعاونة المتبادلة .

والاسلام يؤمن بصلاحيه البشرية للتقدم المتواصل وبنبالة معدنها ، ويحرص كل الحرص على كرامتها ، ويعتبر منافياً للحق ما ينسب إلى الاديان السماوية الاخرى مخالفاً لذلك ، ويعده دخيلاً عليها لأنه يناقض المنطق والعلم من جميع النواحي ، ويعتبر أن ما يخلص الانسان هي حسناته وحدها .

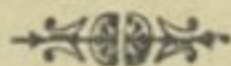
وهذا مبدأ يتفق مع العقل ، والعلم ، والسيكولوجيا ، والستيولوجيا ، وكل ما ينهض بالانسانية ويرقى الوجود باستمرار من عوامل فعالة .

ومن أركان الاسلام الهامة التمسك بالمساواة وتكافؤ الفرص للبشر جميعاً ، فكلهم أبناء الله ، ولا حجاب بينهم وبينه ، وأهم هذه الطبيعة التي يمرحون في كنفها ويغضبون منها ، ويشتدون في غضبهم إذا ما ارتدت عليهم ، وعاقبتهم نواويسها .

ثورتهم الضالة عليها .

إذن لا كهنوت، ولا قسيسية في الاسلام، كما لا شرك ولا
خرافات ولا بهلوانيات باسم الدين فيه .
وتكافؤ الفرص لا حدود له ولا استثناء فيه، وهذا ما عرفته
باكستان الحديثة، التي اختارت البيجوم لياقت على خان سفيرة
لها لدى هولانده .

هذه لمحات من أركان الاسلام المعنوية ، أو على الأصح من
بعضها ، وهي أهم من أركانه الشكلية، ذكرناها على سبيل المثال
تدليلا على عظمة الاسلام .



عالمية الاسلام

ذكرنا في حديث سابق نماذج من أركان الاسلام المعنوية التي اعتبرناها أهم بمرار من أركانه الشكلية، وهي التي سوغت وصف الاسلام بالحياة، فاذا قلنا ، الاسلام ، عنيينا فوراً ، الاسلام الحى ، ولا غيره ، ، فالاسلام الميت ، ليس من الاسلام فى شيء ، والكلام عنه لغو وهراء بالنسبة لهذا الدين الكريم ، ومن يشغلون أنفسهم بعبث الشكليات وتفوتهم معنويات الاسلام الرفيعة وآفاقه الواسعة فلا صلة للاسلام بهم ، بل هم طفيليون عليه وإن حملوا اسماء اسلامية لأسر اسلامية وحسبوا أنفسهم من أهله ، وراحوا يفتون ويؤلفون أضحاحك وأضاليل ليست مبعدة الاسلام عن أب يكون الدين العالمى فحسب ، بل تجعله غير صالح حتى لقرية فى قطر متخلف ، وهو ذلك الدين الذى هبأ الجو والمجال للبعث العلى الأوربى وللحضارة الانسانية النيرة بعد عود الظلام .

ولو أخذنا بعنجهية أولئك الناس - تلك العنجهية التي يبرأ

منها الاسلام - إزاء المرأة مثلاً لوجب على النساء المسلمات أن
يتبرأن من الاسلام تبرؤاً تاماً . ولكن لحسن الحظ تسير عجلة
الزمن إلى الامام ولا تبالى بالرجعيين والحفريين والعنجهيين .

ذكرنا أهمية المساواة كركن من أركان الاسلام المعنوية .

وثمة ركن آخر خطير هو « عالمية الاسلام » وهو ما يعبر
عنه عادة بصلاحيته لكل زمان ومكان ، ولو ضاع هذا الركن
لضاعت بضياعه رسالة الاسلام للبشرية .

هذا الركن الجليل الاهمية ينساه أو يتناساه ولا يفهمه
المنتطعون ، في حين أن عالمية الاسلام من أهم خصائص الاسلام
فاذا فقدوها فقد شخصيته وصار شيئاً آخر لا يعرفه المستنيرون
إن عالمية الاسلام ركن أساسي للاسلام ، وكل تفاسير
مناقضة لروح هذه العالمية عدوة لدودة للاسلام .

والاصل في عالمية الاسلام ليست صلاحيته لكل زمان
ومكان فحسب بالنسبة لاهله بل قابليته الدائمة أيضاً لاجتذاب
غير أهله اليه وهذا يعنى اشعاعه الدائم من بابه المفتوح
بالترحيب والهداية وبمعاني الاخوة الانسانية .

الاسلام الحق ، الاسلام الحى ، الاسلام العالمى ، لا يقنع

يمكن أن أو زمان أو بيئة أو شعب أو أفراد ، وإنما يعنى بالانسانية
جمعاء في جميع الافطار ويهتم بخير البشرية كافة ومهما أندر مناوئيه
ليردعهم عن غيهم كما ينذر الاب أبناءه ، فان روح الاشفاق
والرحمة لا تفارقه ولو سترها الوعيد الشديد .

والاسلام كعقيدة عالمية يساير التطور المستمر لانه يعتمد
على العقل والعلم المحقق ، واحترامه للعادات المعقولة جزء من
احترامه للنطق وللواقعية المفيدة . ولذلك كانت الشريعة
الاسلامية في لبائها واسعة يرضى عنها سكان الاسكا رضاء سكان
أفريقيا أو أوروبا أو أمريكا أو آسيا أو أية بقعة في العالم .

وفلسفة هذه الشريعة فلسفة استيعابية جامعة غير بجانبه
إلا ما ناقض العقل والعلم والآداب العالمية الوضع ،
مثال ذلك بجانب الاسلام للخرافات والبدع والتهريج المضلل
واستباحة الاعراض والاعتداء على الخلق وحقوقهم ،
وأما ما عداها فلا يحرمه الاسلام إطلاقاً . وفي (القرآن)
الشريف أمثلة من المحرمات التي كانت لها أسباب معقولة ، فحيثما
وجدت هذه الأسباب استمر التحريم وحيثما انتفت الأسباب
انتفت النتائج المترتبة عليها . ومن الاختصاصيين الجامعيين ،

رجال العلم والتحقيق يستمد تفسير الاسلام وتطبيقه كشرية
عالمية احتفظت من الثرائع السماوية السابقة باللباب الصافي الخالد
واحتفظت ببعض الشكليات النفيسة الرمزية ، وتفردت بعد ذلك
باتخاذها العقل - الذي يسانده العلم المحقق - أداة للتفسير والتطبيق .
لقد جاوزنا منتصف القرن العشرين وازدادت طواعية العلم
لخدمة الاسلام ، ومع ذلك لا يزال يوجد أناس كثيرون يثرثرون
باسم الاسلام احترافاً أو تجارة أو لهواً أو غباء - يثرثرون
بأباطيل وسخافات مضحكة مبكية هي أقرب ما تكون إلى
الوثنية البدائية وإلى كل ما جاء الاسلام للفضاء عليه ! وليس
دونهم إجراماً غير المسلمين الذين لا يفهمون مثقال ذرة
من روح الاسلام ثم يتولون تدريس ما لا يفهمون
وما لا يستسيغون !

والآن كيف يلهم القرن العشرون تفسير الاسلام وتطبيقه ؟
أولاً - أن الاسلام شريعة الديمقراطية بأوسع معانيها
سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأديباً وغير ذلك . ومن ثمة كانت
المدنية الاسلامية قريبة الشبه بالمدنية الامريكية في أسسها ، وكان
ذلك سر التعاطف بينهما . ولا يكفي أن يقال إن الاسلام دين

الديمقراطية إذ لا يعنى هذا القول شيئاً إذا ما اقترن التطبيق بأى استثناء ، سواء بين الجنسين أو بين الألوان أو بين الشعوب أو بين الطوائف .

ثانياً — أن الاسلام هو الصلة بين العلم وما خلفه ، وبين المنظور وما وراء المنظور ، فهو الرابطة بين الحسيات والروحانيات ، وهو الترجمان عن كنه الحياة بما يتفق وتقدم الكون وسعادة البشرية . وكل ما أخل بذلك جملة أو تفصيلاً ونسب إلى الاسلام فالاسلام برىء منه .

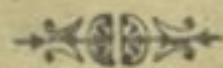
ثالثاً — أن الاسلام طريقة للحياة الهنيئة الشريفة ، وليس بمجموعة من المراسيم والشكليات والألفاظ والاحاجى التى لا يستسيغها أى عقل نير يحترم نفسه ، ويحترم غيره ، ويؤمن بمستقبل الانسان الحر الكريم الدائم التسامى .

رابعاً — أن الاسلام يبشر ببقاء الاصلح ، وبأن الارض لا يرثها من عباد الله إلا الصالحون ، وليست وقفاً على المصلين المسبحين ، بل قد لا يكون لهم شىء منها إذا كانوا يقولون ما لا يفعلون ، وهو دين فى تفسيره وتطبيقه دائم التطور ، كما يتطور العلم وتطبيقه .

خامساً — أن الاسلام نظام إلهي صالح للبشر جميعاً إذا ما فسر التفسير النير السليم، وما مذهب أكبر خان ولا المذهب البهائي ولا مذهب الهيومازم ولا أمثالها من المذاهب إلا مستمدة من إلهاب الاسلام وتعاليمه الانسانية الحرة النبيلة .

سادساً — أن الاسلام دين التسامح التام، لأنه يحترم العقل وتفكيره مهما حذر وأقذر من عواقب الضلال . ولذلك بلغت المدنية الاسلامية ذروتها حينما بلغ ذلك التسامح ذروته تحت راية الاسلام . وها نحن نجد الآن في باكستان الجمهورية الاسلامية قضاة غير مسلمين يطبقون الشريعة الاسلامية بكل أمانة وإحكام إزاء كل هذا نهيب بالمسلمين أينما كانوا، أن يتعرفوا كنوز دينهم، وأن يتبينوا حقيقة فلسفته، وأن يدركوا أن هذا الدين العظيم هو دين عالمي تفرض مبادئه الرفيعة ذاتها فرضاً على عقول المستنيرين كيفما كانت عقائدهم الموروثة، وبعبارة أخرى أن الروح الانسانية للاسلام تجعله سراجاً للبشرية جمعاء، ومن ثمة وجب أن يبقى باب محرابه مفتوحاً لبني الانسان طراً، وأن لا يحس مخالفوه بأن كرامتهم ضائعة، وحقوقهم مغمورة عند أهله، وأن يفترض دائماً أن مخالفيه سوف ينضمون إليه على كر الزمن

من تلقاء أنفسهم ، وعن طريق الاقتناع بتفوقه المطلق ، حتى ولو
كان هذا الافتراض بعيد التحقيق أو مستحيلا لاعتبارات تقليدية
أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، وبذلك يبقى الاسلام رابطة
الاخوة للبشرية بأسرها .



الشركة المقدسة

ليست أركان الاسلام المعنوية خمسة أو أكثر أو أقل ، بل متعددة ، وكل ركن منها من صميم بنية الاسلام ولا يقوم له غيره ، ومن أركانه الخطيرة المشاركة المقدسة بين الرجل والمرأة . إن المظهر الاسمي للمرأة هو الامومة ، والدين الذي يقول نبيه في صراحة : الجنة تحت أقدام الامهات ، يبالغها منزلة سامية . ليست المرأة تابعة للرجل في الاسلام كما هو شأنها في ديانات أخرى وإنما هي شريكة حياته على قدم المساواة وإن تنوعت اختصاصات كل منهما دون أن يكون هذا التنوع احتساراً أو تقييداً جامداً ، فإن الاسلام يتميز بمرونته التطبيقية حتى ليتنوع تكيفه من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل . ففي فجر الاسلام دعت الحالة الاقتصادية أن يكون الرجل قواماً على المرأة بمعنى أنه المسئول عن الانفاق على معاومتها وإياد في بيته وفي حياته عامة كرعى الماشية وما إلى ذلك ، ونهى الاسلام الرجل عن أن يكون مستعبداً للمرأة أو قاسياً عليها . وبغير

الأسباب تتغير النتائج حتى ليصح في الاسلام — تبعاً لذلك — أن تكون المرأة قواماً على الرجل في ظروف خاصة . والمجتمع الذي يقف في وجه هذه الشراكة المقدسة إنما يناهض الاسلام ، ولا يصح أن يعد مجتمعاً إسلامياً صادقاً ، وانتقاص أركان الاسلام المعنوية إنما هو تقويض له ، وإذا كانت المرأة عند بعض الطوائف مظهراً للآثم ، فهي لدى الاسلام مظهر النبل ، وهي عنده الأصل الذي يحقق العمران ويهيئ السعادة للبشرية . أجل ، ليست المرأة في نظر الاسلام شراً ضرورياً كما يقول الجاهلون ، إنما هي نعمة الرجل :

وإنما المرأة الدنيا بما جمعت إذا تربت وصانت حسناتها الغالي والشراكة المتعادلة بين شقي الانسانية لا مفر منها في أي مجتمع اسلامي سليم وهي مقدمة على أركان أخرى ، منذ كانت الأسرة الصالحة عماد الأمة الصالحة ، والشعوب الصالحة عماد الوحدة الانسانية الصالحة وأساس عالمية الاسلام .

كانت الشرائع القديمة - وفي مقدمتها شريعة (مانو) الهندية - تعتبر المرأة في حكم الملك للرجل (١) ولا تستثنى من ذلك شرائع

(١) المرأة في التاريخ والشرائع — محمد جميل يهيم ص ١٦٧ — بيروت ١٩٢١ .

الصين واليابان وفارس واليونان والرومان . فلما جاء الاسلام
لم ينصف المرأة في حقوقها فقط بل عدها قرينة الرجل بكل
ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ومغزى ، واعتبر شركتها المقدسة
أحد أركانه الممنوبة الخطيرة .

كانت شريعة (مانو) تقول : « إن المرأة تابعة لوالدها في
طفولتها ولزوجها في شبابها ؛ فإذا مات زوجها تبتعت أبناءها وإن
لم يكن لها أبناء تبتعت أقارب زوجها ، لأنه يجب ألا تترك المرأة
لنفسها في حال من الأحوال ، وكان لليوناني « الحق في أن يهدي
امراته بموجب وصيته إلى أي صديق يختاره . وبذلك لم يقتصر
على التصرف بها في حياته بل جعلها تحت الوصاية من المهد إلى
اللحد . وكان للفارسي أيضاً التصرف بها كأنها سلعة وأن يحكم
عليها بالموت كأنها حيوان أعجم . وزيادة على ذلك فقد اعتقد
بعضهم بأنه ليس لها روح خالدة ، وقرر آخرون أنه لا ينبغي أن
تعيش بعد زوجها ، وتسامح البعض بجواز تقديمها للضييف
تكريماً له . ولكن الاسلام نقض كل هذا الضلال نقضاً تاماً
ومحاه محواً ، فإذا باصلاحه يشمل لا المعاشرة والعلاق الزوجية
وحقوق المرأة المدنية فحسب ، بل أيضاً كل ما يجعلها نداء للرجل

في بناء صرح الانسانية ، فكان الاسلام بذلك ثائراً مصلحاً ملهماً عظيماً . والاسلام لا يقبل دون ذلك حتى ظن بعض الباحثين أن الرسول عليه السلام كان متجيزاً للمرأة ، ورأى آخرون أنه كان أكثر مناصرة للرجل . وكل هذا غير صحيح . أما الحقيقة فلا هذا ولا ذاك وإنما يحتوى الاسلام في لبه جرثومه التطور ، ويحتوى القرآن الشريف تعاليم مطابقة أحكم مطابقة لظروفها وعلى هذه الظروف يقاس . وعند فجر الاسلام أعطيت المرأة من الحقوق والمعاملة ما لم تكن تحلم به ، بل ماتجاوز - بسخاء - ظروفها ، وبهذه الروح يجب أن يقاس .

وهذه الروح هي التي يجعلها كثيرون ممن يكتبون أو يحاضرون عن الاسلام وهم على غير هدى من فلسفته ولو كانوا من أهله كأنما على بصيرتهم غشاوة .

نعم إن روح التطور والمرونة وثيقة الصلة بتطبيق تعاليم الاسلام بل هي مفتاح تطبيقه .

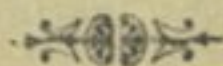
ولم إلى أن يفهم الناظرون والمتكلمون أن الاسلام دين تطوري تقدمي وأن كثيراً من الأحكام التي جاء بها هي أحكام نسبية ألهمتها الظروف في حين أن قلتها أحكام دائمة وهي

لما اتصلت بالآداب والمثل العليا - إلى أن يفهم الناظرون والمتكلمون ذلك فسيستمرون خابطين خبط عشواء في وصف الاسلام بما هو غريب عنه ، ومن بين ذلك حديثهم الوهمي عن « حقارة ، المرأة في الاسلام ، وهو الذي رفعها إلى أسمى المراتب وهبأها لأن تنبأ حتى رئاسة الدولة .

وقد أضحكنا أن نقرأ أحاديث منسوبة إلى الرسول عليه السلام ، فيها الخط من منزلة المرأة ، مما لا يقبله العقل ولا يقره التاريخ النزيه الذي يعرف للنبي العربي أنبل المواقف في إنصاف المرأة وحماية شركتها المقدسة مع الرجل .

وبما يزيد الطينة بلة أن تدريس الثقافة الاسلامية والشرعية الاسلامية هو غالباً في أيدي المقلدين النقليين والجامدين المتحجرين الذين لا يفهمون من روح الاسلام التقدمية شيئاً أو في أيدي عدد من الأجانب معظمهم - إن لم نقل كلهم - مشغول غالباً بتسجيل البدع والأوهام والخرافات وأدوار الجود والانحطاط وكل ما يناق ربح الاسلام ، كأنما مهمتهم التدريسية الجامعية محصورة في هذا العبث ولا تعرف شيئاً عن الحركات التقدمية الاسلامية التي هي من صميم الاسلام ، وقد خدمت الانسانية أجل الخدمات على كر العصور .

ولذلك وجب علينا أن تنبه في هذا المقام إلى هذه الحقيقة
 المؤسفة القائمة في الغرب والمؤدية إلى أسوأ النتائج السياسية
 والثقافية والدينية ، كما لنا أن ننوه مغتبطين باهتمام الدوائر الجامعية
 الأمريكية اهتماماً بالغاً بأمر الثقافة الإسلامية الحديثة وبوجوب
 إسناد تدريبها إلى أصحابها من جهازة المسلمين .
 وإن ننس لا ننس كيف كنا نستمع قبلاً إلى محاضرات عن
 المرأة المسلمة ، يلقيها أناس لا صلة لهم بالإسلام ولا تعاطف
 بينهم وبين أهله ، فكانوا يقلبون الحقائق رأساً على عقب ،
 ويشوهون جمال الإسلام ، ثم أتيج لنا أن نقف على محاضرة
 للسيدة عزيزة شكرى عقيلة الدكتور أحمد حسين (سفير مصر
 في واشنطن) في هذا الموضوع ، فعرفنا كيف تنصف المسلمة
 المثقفة بنات جنسها المسلمات وتنصف الإسلام ، ونمئذنا لو أن
 مثيلاتها وأمثالها انقشروا للمحاضرة في البيئات الغربية أسوة
 بما أخذت أمريكا به أخيراً من تشجيع المسلمين والمسلمات من
 ذوى المواهب للمحاضرة البيرة عن الإسلام — إذن لادرك
 الغرب — كما يدرك الشرق — معنى « اشركة المقدسة » كركن
 خطير من أركان الإسلام .



نشأة التصوف الاسلامى

نشأ الاسلام فى بيئة يغلب عليها الطمع المادى هى بيئة قريش ، فكان بمثابة ثورة على رأسماليتها وحبها الاحتكار أو التفرد بالاستغلال ، ولذلك جاء فى الكتاب العزيز : « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، ونحو ذلك من الآيات الحاثية على الزهد والنقشف ، وكان الرسول الكريم بسلوكه المثالى فى حكم المتصوف الاسلامى الاول (١) ، وكذلك كان بوجدانه التأملى .

ويتناول إجناس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) — وهو من نعلم منزلته فى النقد التاريخى الاسلامى : « كان الاسلام فى أول أمره تسوده فكرة اطراح العالم والزهد فيه ،

(١) راجع كتاب (العناصر التصوفية فى محمد — Mystical Elements in Mohammed) للاستاذ جون كلارك آرشر ، طبع جامعة ييل فى أمريكا ١٩٢٤ ، وكتاب (التصوف الاسلامى Islamic Sufiam) للسردار إقبال على شاه ، طبع لندن ١٩٣٣ .

وذلك في الوقت الذي غلبت فيه فكرة التوكل والشعور بالخضوع
المطلق . .

كتب علي بن أبي طالب : « إنما مثل الدنيا كمثل الحية ، لين
لمسها ويقتل سمها ، فأعرض عنها وعمّا يعجبك فيها ، لقلة
ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها . وكن
أسر ما تمكون فيها ، أحذر ما تذكره منها ، فإن صاحبها كلما
اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه . .

وقال منصور بن عمار : « إن لله عبادة جعلوا ما كتب عليهم
من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المنصلة بقلوبهم
من علائق الدنيا ، فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا
خودهم بوابل دموعهم وافترشوا جباههم في محاريبهم ، يناجون
ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم . .

أمثال هؤلاء الرجال على قلوبهم وجدوا في عهد النبي عليه
الصلاة والسلام وكان يعطف عليهم ويدعوهم إلى مائدته .
وأولئك في نشوتهم يمثلون المتصوفين الخالص ، ولا صلة لذلك
بقرب نشأة الاسلام ، فالامر أمر مزاج واستعداد وجداني .
ومع أن الرسول الكريم قال في صراحة حكيمة بليغة :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وأوضح أن الزهد المطلق في الدنيا ليس من الشريعة الإسلامية بل هو عكسها ، فإن موقف أولئك المتصوفين — الذين كانوا يعدون أنفسهم « أولياء الله » — لم يتبدل ، لأن التصوف الديني كان من صميم فطرتهم ، ولأن الآيات القرآنية الجميلة التي تحت على تسبيح الله وعبادته في آياته وما كونه تركت أثراً عميقاً في نفوسهم . أولئك الاتقياء احتضنهم القرن الأول للهجرة خاصة . وأشار المؤرخ أبو الفدا إلى فقرائهم المتنقلين الغرباء الذين كان يعطف عليهم النبي الكريم ويحسن إليهم ويوعز إلى الصحابة بمثل ذلك نحوهم .

ولما أحس ولاة الأمور المسلمون بأنه لا أمان للإسلام ولا للمسلمين بينما يحنهم الأعداء الالدام مهديين حياتهم ، رأوا أن الفتح لا مناص منه كدفاع استراتيجي عن وطنهم وقد اعتمدوا على الدعوة قبل السلاح لاجتذاب المخالفة والعون إن لم يكن الانضمام إلى الإسلام ذاته ، وهكذا تلاشت « أفكار الزهد والنقش في الأولى ، ازاء غنائم الفتوحات وبرزت الناحية العملية القوية في الإسلام .

ومع ذلك نعلم جيداً أن عمر بن عبد العزيز — على ما روى
الطبري — كان يتشدد في وضع الجزية عن أسلم ، وسارت في
الآفاق كلبته المشهورة : « إن الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه
جائياً ، . وهكذا بقيت للإسلام — عملياً ، حتى في انتصاراته
المادية العظيمة — نزعة المثالية ونقاؤه ، ما بقي يرعاه الخلفاء
الصالحون والولاة المنقون ، وكان أبو ذر الغفاري الحارس
الأمين في عهد معاوية لتلك النزعة وذلك النقاء . وفي ذلك الجو
بقي التصوف الأول على ما هو عليه ولكن بين قلة .

وتمر القرون ، وينحدر الإسلام عن ذروة العلم ، فيتلقفه الجهل
مستعبداً مؤذياً ، وتحل بدل شاعرية المتصوفين الأولين نفعية
خلفائهم المرتزقين — والشاذ لا يقاس عليه — حتى يصبح
التصوف الإسلامي بمراسيمه وأوضاعه وجماعاته هزواً وسخرية
في الغالب . وقد عرض لنا الدكتور زكي مبارك في كتابه
(التصوف الإسلامي) ألواناً من هذا العبث الذي تصدق
فسبته إلى الروح الإسلامية .

فالتصوف الإسلامي الذي نشأ منذ فجر الإسلام في عهد
الرسول صلوات الله عليه ، كان في البداية انقطاعاً للعبادة

وإعراضاً عن زخرف الدنيا وطيباتها ، أى تقشفاً وزهداً ،
فالتصوف والرفاهية لا يجتمعان .

وعندنا أن نشأة التصوف الاسلامى هي — أولاً — رد
فعل للاستغلالية الغاشمة التي كانت متفشية بين سادة العرب ، وهي
— ثانياً — استجابة متطرفة لدعوة الاسلام الجميلة للتأمل في
الطبيعة والاعتراف من أسرارها وتسبيح الله سبحانه وتعالى
بالاندماج في آياتها ، فالسبب الاول اقتصادى ، وأما السبب
الثاني — وهو الأهم — فوجداني صرف ، لامناص لآي مسلم
تقى من التأثر به ، إن قليلاً أو كثيراً حسب طبيعته ومزاجه
وثقافته .

وفي عدد أغسطس ٤٥ هـ من مجلة (البعثة) الكويتية التي تصدر
في القاهرة مقال نقدي للأستاذ محمد رضوان أحمد عن التصوف
ونشأته يدعونا إلى لفت نظر الكاتب الفاضل إلى كتاب الأستاذ
الدكتور آرثر آربري الموسوم (مدخل في تاريخ التصوف (١)

An Introduction to the History of Sufism
by Arthur I. Arberry, Litt. D.)

(١) طبع لندن ١٩٤٢

للمقارنة بين ما ذهب إليه وبين ما سجله آري برى وغيره من
الباحثين المدققين عن نشأة النصوص الإسلامية .

وقد ختم الكاتب مقاله بالانحاء على المتصوفة الذين اتخذوا
النصوص شركاً ليعيشوا على حساب الغير ، وقال : إن الإسلام
لم يتبدل بهم إلا بعد ترجمة فلسفات القدامى في العهد العباسي .

وعندنا أن ترجمة الآثار اليونانية خاصة خدمت الثقافة
الإسلامية ، وأن عبث المتصوفين المتأخرين هو وليد الجهل العام
والوصولية والنفعية ، ولو كان للفلسفة الحقبة يد في أمره لمحتة محواً .

وأما النصوص الإسلامية الحقيقية فلا شأن له بالخزعبلات
السائدة الآن — وقبل الآن — باسمه ، وقد بلغت غاية تدهورها
في هذا الزمن .

ولم نقل نحن إن المتصوفين الأولين بزهدهم في طيبات
الحياة كانوا أوفياء لروح الإسلام ، وإنما اكتفينا بالإشارة إلى
ظاهرة إن دلت على شيء فعلى بعد أولئك الأخيار الكرام عن
الاتجار باسم الدين واعزازهم بثروتهم المعنوية ، وهكذا لم
يكونوا مجافين روح الإسلام المجيدة بتخليهم عن المادة ، وشتان
بين حالهم وحال أغلبية المتصوفين المسلمين في عصرنا الحاضر .

المعجزات المحمدية

في أوائل القرن السابع الميلادي أعلن محمد بن عبد الله رسالته للبشرية من منبر العروبة ، وقرنها بسلسلة من المعجزات المفحمة أو على الأصح بمطلع هذه المعجزات التي تزيدها الأيام تجلياً لن ينقطع .

فما هي هذه المعجزات ؟ وما سر تجليها المزداد ؟

إن ازدياد تجلي هذه المعجزات المحمدية على مر القرون دليل على ما يكمن في الاسلام من طاقة عظيمة لا تنتهي ، بل تزداد سطوعاً وإحياء وعظمة لأنه دين تطوري لا يعرف الجمود .

أما هذه المعجزات فتعددة تنبثق من صلب الاسلام وهي :-

أولاً : القرآن — لم يعرف عن رائد — سابقاً أو حاضراً —

أنه تقدم للإنسانية بوثيقة جمعت جمعاً شاملاً لأفوى العناصر الثلاثة البالغة التأثير في الوعي واللاوعي معاً كما صنع النبي محمد صلوات الله عليه .

أما هذه العاصر الثلاثة فهي اللغة، والدين، والمثالية .
 فاللغة كانت وما زالت منافسة للدين في التأثير على الأذهان
 وربط القلوب ، حتى وجدنا كثيرين من المسيحيين ، وعلى الأخص
 الكاثوليك ، محبين إلى المسلمين وإلى العرب جملة لعنايتهم الفائقة
 باللغة العربية - لغة العروبة بجميع مقوماتها وطوائفها ، وقد
 أسدوا ما أسدوا من الخدمات الجلى لها في فقه اللغة والبحوث
 الأدبية التاريخية خاصة ، وهذه بحلة (المشرق) البيروتية شاهد
 عيان على مآثرهم المستمرة ، وهنا في واشنطن العاصمة بالذات
 ينظر المسلمون بل العرب جميعاً إلى الأب أربز Father Arbez
 أستاذ العربية بالجامعة الكاثوليكية نظرة المحبة والاحترام
 ويعدونه واحداً من صميمهم ، كما يعز أمثال المستعربين الأفاضل
 هارولد جلدن Harold Glidden (في مكتبة الكونغرس)
 ومايرون سميث Myron Smith المعنى خاصة بالثقافة
 الإسلامية ، وإتنيجهاوسر Ettinghauser من رجال متحف
 الفن (Fraer art Gillary) . وإن ندس لا ندس جهود
 الجزويت في (المنجد) والتحقيقات اللغوية ، ولا مآثر
 المطارنة الأعلام غريغوريوس حجار وجورجيوس حكيم

وجرمانوس فرحات وأندادهم .

وقبل ثلاثة عشر قرناً على لسان محمد بن عبد الله تجلى عامل اللغة الفعال أروع التجلي في القرآن المجيد ، فوضع الأساس في التفاف العرب جميعاً حوله على مر القرون ، وما من عربي حر صميم الآن إلا ويعد النبي محمداً أعظم أبطال العروبة على اختلاف طوائفها ، وقد جاءت العربية القرآنية بأصالتها وإبداعها تحفة فنية عديمة المثال ، فصارت فخراً أدبياً يعتز به كل عربي ولو لم يكن مسلماً ، حتى عرف عن نفر من العرب المثقفين غير المسلمين حفظ القرآن عن ظهر قلب ، وكان بين هؤلاء حديثاً المطران غريغوريوس حجار .

وإلى جانب هذا التراث الأدبي الذي بلغ الذروة في مقامه جاء القرآن بدين عقلى روحى عظيم لا يمكن أن تتطرق اليه أو تلبصق به الخزعبلات والأوهام والسفاسف إلا عرضاً ثم نزول وهذا هو العنصر الثانى للمعجزة القرآنية - عنصر الدين الجذاب . أما العنصر الثالث فهو عنصر المشالية التى تستهوى العقل والخيال معاً استهواء لا يحد ولا ينتهى .

بهذه العناصر الثلاثة تكونت المعجزة القرآنية وتوجت

جميع المعجزات المحمدية التي تعد في الواقع متفرعة عليها . وخلد القرآن الشريف بعناصره الثلاثة الجبارة خلوداً مطلقاً لا يتزعزع فكان معجزة المعجزات التي جاء بها الرسول .

ثانياً : الثورة للكرامة الانسانية — ظهر محمد فرداً بثورة على الظلم والظالمين كيف كانوا وأينما كانوا ، وبين أولئك سدنة الشرك والوثنية ، لأنهم في حكم الممتنعين للعقل الانساني . ظهر بهذه الرسالة وهو رجل أمي لا ثروة له ولا طائل ، وتشبث بأيمانه ، فانتصرت عقيدته على الرغم من العقبات الهائلة التي أحاطت به والتي كانت كافية لاجباط همة أي انسان سواه . ولم يلبجأ إلى الخديعة في تحقيق رسالته وبلوغ أهدافه كما صنع مثلاً عبدالرحمن الداخل أو أبو جعفر المنصور ، وإنما اعتمد على الحق والاخلاص فحسب ، كما نوه بذلك المستشرقون المصنفون . فكان انتصاره في تلك المعركة الطاحنة معجزة بالغة .

وقد مرت القرون دون أن تخبو معانيها المناققة ، فألهمت السلوك الاسلامي على مدى القرون . . ألهمته كل من تشرب الثقافة الاسلامية من الشعوب غير الاسلامية .

وثورات الحرية والاخاء والمساواة والديمقراطية التي تابعت

في العالم عصراً بعد عصر، ودعمت الشورى والعدالة، يمكن تتبع أصولها إلى صميم التعاليم الإسلامية التي بلغت أوجها من الازدهار في الأندلس وفي الجامعات العربية بأوربا. فغرس بذور هذه الثورة التي لا تنتهي مظاهرها وجدواها لرقى الإنسانية المتواصل معجزة أى معجزة، وعندنا أنها وحدها كافية لوضع الرسول في المنزلة العليا من القيادة بغض النظر عن عظمتة الدينية

ثالثاً : المثالية العلية — قدم محمد الرسول الأسمى للعالم مثالية قوامها العلم والفلسفة العلية، وهو دائم التذكير بالعقل والمنطق. وهذه المثالية العلية هي التي عصمت الإسلام من أن يكون يوماً ما دين تأخر وعنجهية.

وقد جرى هذا في وقت لم يكن للعلم الواقعى شأن مذكور في حياة البشرية، بل كان الشأن للسحر والكهانة والتقاليد الخرافية وعبادة الأوثان.

واستناداً إلى هذا الأساس الراسخ نادى الإسلام بصلاحيته النافعة لكل زمان ومكان، كما نادى بأن المستقبل له، وبهذا تقدم النبي بمعجزة أخرى لم تدركها أفهام الناس قبله ووضع الأساس لديانة تقدمية صادقة تراعى الغرائز بقدر ما تهذبها، وتحترم العلم

والعقل وتوجه الإنسان إلى تفسيرهما الكائنات وإلى هديهما في تطبيق الدين .

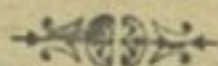
رابعاً : الرسالة العالمية — لم يحصر محمد رسالته في قومه بل ارتفعت عظمة شخصيته فوق حدود البيئة والمكان والزمان وهذه العظمة الذهنية الروحية هي إحدى معجزاته العظيمة التي أنزلته فوراً منزلة ، السرمان .

ومن أهم نواحي هذه الرسالة بر الإسلام بمخالفته وأنصاره على السواء ، فهو لا يغلق باب الرحمة في وجوه الأولين ، بل لا يغلقها في وجوه الآثمين مهما أنذرهم وهددهم لأجل ردهم عن غوايتهم وخوفهم بأهوال الجحيم ليثوبوا إلى رشدهم .

خامساً : تقديس السلام — دعا محمد إلى تقديس السلام بدل تمجيد الحرب ، وحرّم الحرب الهجومية — حرب العدوان — تحريماً باتاً ، مخالفاً بذلك تقاليد قومه ، وشرائع زمنه ، فأثبتت تجارب الإنسانية على مدى القرون حصافة تعاليمه التي شرع الناس يأتزمون بها كما ترى في هيئة الأمم المتحدة وفي الوكالات والمنظمات العديدة المتفرعة عليها أو المتمشية معها ، وهذه معجزة أخرى عظيمة ، فالسلام الذي اشتق الإسلام من لفظه ومعناه ،

أصبح الآن قبلة الانسانية ، تصلى له في كل آن ، ولا ترى
سواه مخلصاً لها من أدوائها ، في حين أن الإسلام نادى به منذ
أكثر من ثلاثة عشر قرناً . وهذا مثال للمعجزة التي تزداد تألفاً
وهداية للبشر على كر العصور .

هذه طائفة من المعجزات المحمدية وليست كلها، ولكنها كافية
للتدليل على عظمة محمد وعظمة تعاليمه . وأما الخوارق التي تردد
ولا يقبلها العقل ، فلا محل لها من الصحة والاعتبار ، وما هي
إلا رموز زمنية قصصية فحسب ، وما كان الإسلام الصحيح
لهواً وعبثاً .



الاسلام والصالح العام

الحديث عن الاسلام والصالح العام هو الحديث عن اهتمام الاسلام بخير البشرية عامة ، وهو ضمن ذلك الحديث عن الاسلام والعالم الحر .

لم تكن رسالة النبي الكريم مقصورة على نشر الدعوة إلى الحق بالحجة والاقناع فحسب ، ولم تكن مكتفية بالتحبيب إلى الاسلام وترهيب المشركين كيفما كانت مراكزهم من عواقب ضلالهم ، بل عنيت بما هو أعظم وأعم من ذلك — عنيت باعتبار المجموع الانساني ، آجلا إن لم يكن عاجلا ، ضمن حظيرة الاسلام ، ولذلك أوصى الاسلام بتلبية استجارة المشركين حتى يقلعوا عن غيهم ، وإذ بشرهم بعذاب أليم لقاء فجورهم لم يوصد في وجوههم باب التوبة ولا باب الرحمة الالهية .

وليس هذا فحسب ، بل عنى الاسلام بدفع الجور والعدوان عن البشرية ، واهتم بمساعدة الشعوب المختلفة على التحرر من

العبودية سواء أكانت قومية أم أجنبية ، وهذا هو السر في حماسة المسلمين الاتقياء المخلصين لتحرير الشعوب المستضعفة المستذلة من الجبروت والاستغلال إلى جانب هدايتها الدينية .

وما كانت الحروب الإسلامية — أى التى أباحها الإسلام حقاً — حروب اعتداء ، وإنما كانت حروب دفاع أو حروب انقاذ للأمم العاتية أو للمسلمين المهددين .

والإسلام لا يشغل نفسه بالفرد وحده ، وإن كانت حقوق الفرد عنده محل الرعاية ، بل الصالح العام ذو شأن خطير فى اعتباره ، والصالح العام لا يعنى فى نظر الإسلام صالح جماعة أو قوم فقط ، وإنما يعنى صالح البشرية جمعاء وهى التى شغل الإسلام بخيرها دواماً ، حتى أن تعبير «الامة الإسلامية» محدود فى نظر المسلمين الحصفاء مرادفاً للبشرية ، إذ أن الإسلام يتشبه باعتناق البشرية إياه فى النهاية ، وأنها باعتناقه ، أو باعتناق مبادئه تحت اسم آخر أو أسماء أخرى ، إنما تناصر السلام الذى بشر به الإسلام ، وتحقق الوحدة الانسانية السامية .

ليس الاصل فى الدين الإسلامى الخوارق بل العقل والعلم لخلاص البشرية وسعادتها . هذا هو معنى الصالح العام فى نظر

الاسلام ، هو السعادة الشاملة التي يأخذ كل فرد بنصيبه منها ،
ولست تلك التي تكون اسماً على غير مسمى ، وتتجاهل حقوق
الفرد التي هي الأساس الاول للمجتمع القانع الهنيء .

إن الجمع بين رعاية حقوق الفرد وحقوق المجموع — وهو
ما ينطوى تحت تعبير « الصالح العام » ، — من مزايا الاسلام التي
تأثرت بها الديمقراطيات الحديثة وأخذت عنها . والاسلام
يعتبر الديكتاتورية منافية للصالح العام — سواء أ كانت
ديكتاتورية سياسية أم دينية أم غير ذلك .

وإذا كان الاسلام لا يرتضى قيام طبقة من الكهنوت الديني
فهو من باب أولى لا يرتضى قيام طبقة من الكهنوت السياسي أو
الاجتماعي ، إذ أنه يعد ذلك منافياً للصالح العام جملة ، ومنافياً
لحقوق الانسان التي تشمل حرية التفكير وحرية التصرف
المشروع ، وملقياً بالانسان في خضم من الترهات والخرافات
والتعصبات المريضة التي تناهض وحدة الانسانية .

« الصالح العام » ، في نظر الاسلام هو إذن تعبير أوسع جداً
بما يحمله اللفظان ، فالاسلام يذهب إلى أبعد من اعتبار صالح
معتنقيه هو الصالح العام . لأنه لا يقنع في وقتنا الحاضر مثلاً

بأربعمائة مليون ممثلين في مجموعهم ما ينعت " بالامة الاسلامية ،
بل بحسب الامة الاسلامية هي البشرية كافة ، لأن الاسلام يبشر
بصلاح الانسان وبرقيه إلى غاية تكون فيها مبادئ الاسلام
هي السائدة بين الناس تحت راية السلام .

الاسلام إذن عقيدة تفاؤلية تبشر بقدسية الروح الانسانية
وبجمال الحياة ، وبالحفاوة بالدنيا والآخرة معاً ، وبأن الصالح
العام لا بد أن يشمل كل هذا الخير الناس جميعاً .

والاسلام الواعي المتسامح يقول : " وقل الحق من ربكم فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، كما يقول " لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ،

وهو بهذا التصريح يشعرنا بأن وراء تسامحه الثقة المطلقة بأن
البشر على اختلاف أديانهم بل والكافرين مجتذبون حتماً إليه
في نهاية الامر ، ولو مرت في سبيل ذلك قرون .

مدح أبو العباس عبدالله أول الخلفاء العباسيين لسخائه
وملاحظته ورويت عنه الخطبة الآتية إثر مبايعته . قال : " الحمد لله

الذى اصطفى الاسلام لنفسه ، فكرمه وشرفه ، وعظمه ، واختاره
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوامين به والذابين
عنه . .

ثم ذكر قرابتهم من رسول الله بآيات من القرآن ، إلى أن
قال : « فلما قبض الله نبيه قام بالامر أصحابه ، إلى أن وثب
بنو حرب ومروان ، فجاروا واستجاروا ، فأملى لهم حيناً حتى
استوفوا ، فانتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ، ليمن به على
الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما استفتح بنا ،
وما توفيتنا — أهل البيت — إلا بالله . . »

هذا الخطاب الكلاسيكى الذى استهل به دولة عاشت خمسة
قرون ورابع القرن تقريباً ، ينأى الصالح العام ، ومن ثمة ينأى
الاسلام الصحيح ، ولو أن صاحبه تمسح بالاسلام وأهل البيت ،
فالحكم فى الاسلام لا يعرف شيئاً ينعت بالقرابة النبوية أو أهل
البيت ، وإنما يعرف الكفاية ، والاهلية الصالحة ، والتقوى فى
رعاية الصالح العام ، واحترام حقوق الناس وأرواحهم ، وقد
كان هذا الخليفة مولعاً بسفك الدماء حتى لقب « بالسفاح » ،
وهذا منكر عظيم ، وأثم هائل لا يرتكبه مسلم ولا يشترك فيه

ولم يكن أخوه أبو جعفر المنصور بأفضل منه كثيراً ، فقد قتل خلقاً كثيرين ، ومن بينهم أبو مسلم الخراساني الذي مهد ملك العباسيين ، فكان مضرب المثل في الغدر ، وما هذا من شيم المسلمين ، ولا من وصايا الاسلام ، ولا بما يتمشى والصالح العام . وإذا كان أبو جعفر أول خليفة أمر بنقل المعارف الأجنبية إلى العربية خدمة للثقافة وتنويراً لأذهان العرب ، فما كان هذا بالذي يكفر عن سلوكه الآخر الشاذ ، لأن الصالح العام كل لا يتجزأ ، وسياسة الجبروت والقتل مما ينفر الناس من الإسلام والمسلمين ، وبالتالي مما يؤدي إلى خذلان الرسالة المحمدية التي ترمي إلى السلام العام ، والطمأنينة الشاملة ، والأخوة البشرية . وما انتفاع الناس بترجمة اقليدس أو كليلة ودمنة أو بتدوين الفقه والحديث والتفسير إذا كانوا غير آمنين على أرواحهم وأعراضهم ، لا يملكون حرية القول والكتابة ، والاسهام التام الطليق في خير مجتمعهم وخير الإنسانية ؟

إن الصالح العام في نظر الإسلام لا حدود له ، وأما الضرر العام فأهونه غير هين في نظر الإسلام ، ويبدأ بضرر الفرد مسلماً كان أم غير مسلم ، مواطناً كان أم أجنبياً ، لأن هدف الإسلام النهائي — كما المعنى — شمول الجميع تحت رايته ، والكل في

اعتباره بمثابة أخوة .

ونحن إذا تأملنا في محاضرات المستشرقين عن تاريخ الفقه الإسلامي (ونذكر على سبيل المثال محاضرات الدكتور يوسف شاخ الاستاذ بجامعة كونيكتسبرج والاستاذ بالجامعة المصرية سابقاً) وجدنا أن أغليبتها الساحقة مجرد (كتالوجات) لآراء وتفسير أملاها اجتهاد لا تسانده إلا ثقافة لغوية وأدبية ، ولذلك كانت أشبه بالجهل منها بالعلم .

وأعجب ما في هذه المحاضرات — التي انغمس في مثيلات لها المسلمون النقليون انغماسهم في تأليف طويلة عريضة كأنها مكتوبة في كوكب آخر لأناس لا يعرفهم — أنها خالية تماماً من حقيقتين هما لباب الشريعة الإسلامية والفلسفة الإسلامية ، ولا معنى للفقه الإسلامي إذا تجرد عنهما ، وهما لا تحتملان تكرار التنبيه إليهما :

فأما الأولى فقيام الإسلام كماله وشرعية لخير البشر كافة ، أي للصالح العالمي في كل وقت وفي كل قطر ، والقاسم المشترك الأعظم بينها جميعاً ، التفسير العلي للقرآن وللحديث ، لأن العلم المحقق هو النور الساطع الثابت على كل الأجيال ، وما عداه أوهام وتخليط .

وأما الثانية فهي أن القرآن الشريف الذي لم يفرط الله فيه من شيء ، فيه أساس الأسس ، وجرائم النواميس وصور متنوعة من الأحكام المعللة التي تتنوع ، أو تتبدل ، أو تتوقف بتنوع عللها أو تبدلها أو توقفها ، وعلى هذا الاعتبار نشأت (القوانين) العثمانية والتشريعات المدنية في مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية المتقدمة التي أدركت أن كل تحويل أو تجديد تشريعي توحى به الظروف إنما هو من صميم تعاليم الإسلام ، وأن التطور الدائم في هذا المجال لا يتفق وروح القرآن فقط ، بل بما يحتم الإسلام استمراره ، كما جرى في أمور الأحوال الشخصية والجنائية وسواها ، بل قل في جميع مرافق الحياة ، لأن الصالح العام يدعو إلى ذلك ، والصالح العام هو المهيمن الأعظم في تطبيق الإسلام ، ومن أجل الصالح العام المكفيل بسعادة البشرية تجلى الإسلام ثورة على الظلم والظالمين ، وعلى كل ما يمتن العقل والشخصية الانسانية ، وهكذا كان الصالح العام ينبع الدستور الإسلامي ولم يتقيد هذا الصالح العام بأى قيد سوى قيد العلم المحقق ، الذي هو أداة الدين ، كما أنه الناموس الذي تسير بموجبه الكائنات جميعها ، وهو هو الأمين الوفي على الصالح العام .

الارتداد عن الاسلام

القرآن — كما نعلم جميعاً — هو دستور الإسلام الاعلى بل هو دستوره الوحيد ، وهو كتاب مبادئ وأصول ، لا شروح وتفصيل ، والأحاديث النبوية الصحيحة لا يمكن أن تخرج عن كونها شرحاً للقرآن ، فما ند منها عن ذلك لا يمكن قبوله ، وتحتم علينا أن نعتبره منتحلاً ، ومثله ما يروى عن السيرة النبوية .

ولا عجب في ذلك فان بدء تدوين الحديث على يد عروة ابن الزبير ، كان بعد وفاة الرسول بأكثر من نصف قرن ، وقد تجردت تلك الأحاديث عن أى سند ، كما أن الاهتمام الجدى بالتدوين لم يقع إلا في القرن الثانى الهجرى ، وكثير من هذه الأحاديث مناف كل المناقاة لروح الإسلام النائرة المصلحة ، والإنسانية العظيمة ، وبالغة المرونة وفاقاً للصالح العام فى كل زمان ومكان .

يتفق فى هذا الحكم المستنيرون من أئمة الإسلام وفى طليعتهم

من معاصرنا الشيخ عبد العزيز جاويز، وكتابه: «أثر القرآن في تحرير الفكر البشرى»، و«الإسلام دين الفطرة والحرية»، أشهر من أن يعرفا، والمستقلون من غير المسلمين وفي مقدمتهم من معاصرنا المستعرب التركي الدكتور إدهم، الذى يقول فى مقدمة كتابه الموسوم «من مصادر التاريخ الإسلامى»، ما نصه: «لقد اهتزت أوتار العقل البشرى عندما ظهر الرسول محمد فى فلولات جزيرة العرب، يدعو الملا إلى رسالته العالیه، الإسلام، وقد كان الإسلام بتشريعه ومبادئه نتاجاً لجهود العقول من عصر المسيحية إلى القرن الخامس الميلادى، حيث تمخض العقل الدينى فى فيا فى الجزيرة عن الدين الإسلامى.

ظهر الإسلام فى مكة، ولم يلبث طويلاً حتى انتشر فى جزيرة العرب، ثم لم يلبث — لعوامل اجتماعية، وأخرى اقتصادية — أن غزا سوريا وما بين النهرين، ولم يأت أواخر القرن الأول الهجرى حتى كان الإسلام قد ملك ناصية المشرق، من الصين إلى الأطلنطيق. وكانت حركة مد الإسلام من الحركات التاريخية الفاصلة بين عهدين فى تاريخ المشرق فى فترة القرون الوسطى، إذ حفظ الإسلام — بمدنيته التى خلقها — تراثاً للإنسانية

خرجت به من جهادها الطويل في فترة تلبد فيها جو المعرفة
وتحجرت خلالها أسباب النشوء عن الأخذ بالعقل الإنساني إلى
سلم الارتقاء .

في ذلك الوقت الذي أغمض فيه العالم جفونه وذهب في
سبات عميق وأخذت غيوم التعصب الحالك مع سحب الجهالة
السوداء تتجمع في سماء المعرفة ، أخذت الحياة تدب في موات
الشرق — في الشرق الأقصى لستمخض عن حضارة الصين الزاهرة ،
وفي الشرق الأدنى لتولد حضارة الاسلام الزاهرة .

أيقظ الإسلام العقول الجامدة من سباتها وولد في تيار العقل
الإنساني مجرى جديداً ، ولم يمض القليل حتى أخذ التاريخ يرى
في ربوع الشرق الأدنى مدنية خالدة بآثارها إلى اليوم .

ولو لم يكن للإسلام إلا ما أنشأ من حضارة في الفرون
الوسطى ، حفظت قراث الانسانية من الضياع ، لكفاه نخرأ
إلى الأبد .

اقترنت نشأة المدنية الإسلامية بخلافت داخلية فتحت
أبواب الانتحال أمام رجال ذلك الجيل ، فانغمز التاريخ
الاسلامي بعشرات الألوف من الروايات الكاذبة ، بل والمئات

المؤلفة من الأحاديث المختلفة على الرسول ، وكان لهذا الانتحال أسباب عديدة ، فكثيراً ما كان الدين يدفع رجاله لانتحال الروايات التاريخية والأحاديث النبوية لإثبات بعض وجهات النظر الديني .

يسوقنا إلى هذا ، النظر في الخلافات الدينية التي استعرت نارها خلال القرنين الأول والثاني للهجرة بين أنصار علي وأنصار معاوية ، وما عقب ذلك من نضال بين أهل السنة والشيعة والمعتزلة ، كما أن السياسة والخلافات التي قامت بين بني أمية وبين بني هاشم إلى صدر الدولة العباسية ، كان لها يد لا تنكر في الانتحال .

ونحن نرى هذا الانتحال قد اندفع إليه الكثيرون من جلة الرجال عن طريق غير شعوري كما تدلنا على ذلك حالات عديدة كما أن الجانب الأكبر كان مقصوداً انتحاله لغايات دينية ومآرب سياسية .

وهكذا غابت حقائق التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول في طيات الأقاليم التي ابتدعتها العقول خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، فظهر — من خلال ذلك — التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول مختلطة مادتها بالأقاليم اختلاط قليل من الحقائق

بكثير من الأوهام .

هذا ما يقوله صاحب رسالة « لماذا أنا ملحد ؟ » في موقف التحقيق والانصاف لصاحب الرسالة المحمدية . وقياساً على استنتاجه الصائب وعلى القرائن والتفاسير الحكيمة نقول : إن الردة في الاسلام ليست تعنى أن يبدل به دين آخر ، وإنما تعنى — إلى جانب النخلى عنه — الغدر به ومناوآته مما يدخل في باب الخيانة العظمى التي تعاقب عليها حتى الحكومات المعاصرة وأعظمها مدنية بالقتل ، وكم ارتكب أولئك المرتدون من جنایات في محاربة الاسلام بعد أن وقفوا على نقاط الضعف عند المسلمين .

وقد صدق الامام الشيخ جاريش في قوله إن لبدء ظهور الاسلام من الاحكام ما ليس لغيره ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم علمنا كيف تتصرف في الحوادث عند حدود مقتضيات الاحوال . ولنا من سيرته السامية وأعماله الحكيمة آلاف من الأدلة والآيات ، ولكننا ابتلينا بالجمود وضعفنا عن إدراك أسرار سيرته ودينه الفطرى ووقفنا عند حدود الالفاظ وأخذنا تنقيح ببعض الروايات ولقد كان لنا من حكمة رسولنا الحكيم وعلمه الالهى ما يرشدنا إلى أيسر السبل وأقومها

لو كنا نعقل (١)

بناء على ما تقدم لا يعاقب الاسلام ولم يعاقب يوماً من تخلى عنه تبعاً لوصي وجدانه ، لانه نادى من البداية بأنه لا إكراه في الدين ، وأنه لا تقبل صحة العقيدة ممن لا يؤمن بها . وقد كانت وما زالت الاحكام الاسلامية عرضة للتبديل المنطقي وفاقاً للمصلحة العامة التي تبدلها الظروف ، وهذا روح التشريع الراقى في كل عصر .

ولنأخذ مثلاً الدستور المصرى المعلن في التاسع عشر من ابريل ١٩٢٣ . وقد اشترك في وضعه جمهرة من أقطاب المسلمين . بل كانت لهم الأغلبية الساحقة التي اعتبرت مواده متمشية كل التمشى مع مبادئ الاسلام تبعاً لمقتضيات العصر الحاضر . وإليك . طائفة من هذه المواد : —

المادة الثالثة — المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون في النمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة ، لا تميز بينهم في ذلك بسبب الاصل أو اللغة أو الدين . الخ

(١) ٣٨ و ٣٩ — أمر القرآن في تحرير الفكر البشرى —
عبد العزيز جاويز ١٩٢٨ .

المادة الرابعة — الحرية الشخصية مكفولة .

المادة الثانية عشرة — حرية الاعتقاد مطلقة .

المادة الثالثة عشرة — تحمى الدولة حرية القيام بشعائر

الاديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب .

المادة الرابعة عشرة — حرية الرأي مكفولة . ولكل إنسان

الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو بغير ذلك في حدود القانون .

هــ هذا هو حكم الاسلام في القرن العشرين ، وقد يتطور

بل لا بد أن يتطور إلى ما هو أبعد من ذلك في مستقبل العصور .
فالمنافشات البيزنطية التي تجرى في عدد من المجلات والمكاتب
الجامدة حول الارتداد عن الاسلام حتى لتصل إلى المحاكم
الشرعية مطالبة بالفصل بين الزوج وزوجته بما لا يتفق وروح
الاسلام بتاتاً .

وقد ذهب الزمن الذي كان فيه الاسلام ضعيفاً وزواج

المسلمة بالكتابي أمراً غير مرغوب فيه نظراً لقلّة عدد المسلمين
وخشية سوء معاملة المسلمة ، ولكن الأحوال تبدلت الآن تبديلاً

تاماً وأصبحت المرأة سيدة نفسها القادرة على حماية حقوقها
حماية تامة ثم إن الزواج في الاسلام مدنى الطابع، وللرأة أن
تشرط في عقده ما تشاء من الشروط رعاية لصالح أمرتها وصالح
نفسها ، فالتدخل بينها وبين زوجها بعد ذلك باسم الشريعة أو
باسم أى اعتبار لا تدعو إليه الآداب والحقوق الصريحة إنما هو
افتئات على كرامتها .

وإنه لمحزن حقاً أن توجد أقطار اسلامية متخلفة — وإن
تكن قلة — تأخذ بدعاوى الفقهاء الجاهلين وتجعل السيف
والنطع جزاء من يترك الاسلام إلى دين آخر ، وهذا منتهى
العبث بحقوق الانسان المخالف لتعاليم الاسلام أتم المخالفة ،
والمصور له تصويراً وحشياً وهو دين البر والرحمة والحضارة !
إن الاسلام الصحيح دين الاقتناع ، دين المنطق ، دين الحرية ،
دين الاخوة الانسانية والكرامة البشرية ، دين العالم — فى اعتبار
الاسلام ذاته — عاجلاً أم آجلاً ، فكل حركة أو خطوة تناهض
ذلك هى عدوة للاسلام ، لأنها تعمل على نقله من النور إلى
الظلام ومن الذروة إلى الحضيض . ولا ريب أن مسألة الارتداد
عن الاسلام بالمعنى المشوه الذى يلاك ويردد هى من تلك
المخرعبلات التى ينبغى القضاء عليها مذهباً وسيرة ونتيجة .

الاسلام والحضارة

يزعم بعض المنتقسين أنه ما دام الاسلام في أصله دين
تقشف فلا يمكن أن يكون دين حضارة ؛ وهذا وهم بالغ يأباه
المنطق كما يأباه التاريخ .

ويزعم أمثالهم أنه ما دام الحجر على الحق أو إرهاب الأحرار
يجرى في هذا البلد الاسلامي أو ذاك تحت دافع المستريا السياسية
أو بمالة للجهلة من رجال الدين فمعنى ذلك عداو الاسلام للحرية
وعداؤه للحضارة ، وهذا أيضاً منطق معكوس غريب .

إن التقشف الاسلامي ليس معناه العزوف عن طيبات الدنيا ،
وانما معناه اجتناب التهالك على الرفاهية وما يصحبه من تدهور
خلق ، وبالفعل حينما تهالك المسلمون على الرفاهية تدهوروا أي
تدهور وضاع ملكهم وذهبت بذهابهم حضارة رائعة .

أما حرية الفكر والغيرة على الحق فمن صميم تعاليم الاسلام
منذ نشأته ، فلما أغفلت هذه أو تلك تدهور الملك الاسلامي ؛
ولذلك حق لنا أن نقول : —

إن الخيانة للأوطان أخطرها حجر على الحق أو إرهاب أحرار.

ما هو إذن موقف الاسلام من الحضارة ؟

إن موقف الاسلام من الحضارة هو موقف الأب البارنحو ابنه . أجل فالاسلام يعتبر الحضارة سليلته لأن دستور التقدم الانساني مدون بالقرآن العظيم ، وكل عامل يؤدي إلى رقي البشرية هو منه وإليه ، وكل ما ناقض هذا التقدم غريب عنه . وكثيراً ما نقرأ عن التوفيق بين الحضارة والاسلام ، وهذا التعبير — في الواقع — تعبير خاطيء ، إذ لا خلاف مطلقاً بين الاسلام والحضارة ، فالحضارة نتيجة من نتائج النظام الاسلامي والفلسفة الاسلامية العملية . والحضارة الاسلامية — أي المترعة في كنف الاسلام — حضارة شاملة عالمية ، لأن روح الاسلام عالمية ، فهي لا تعرف التعصب إطلاقاً ، اللهم إلا للخير العام ، وفي سبيل الخير العام تقتبس من مدينيات شتى وتبناها وتشجعها وتصهر حسناتها جميعاً في بوتقة التسامي الاسلامي .

إن الاسلام ، الدين العالمي التقدمي ، لم يتخل ولن يتخل عن أي فكر صالح أو عمل نافع كيفما كان وأينما كان مصدره وعصره وأصحابه ، إذ يعد كل ذلك ثمرة تعاليمه ونتائج تبشيره ، وهكذا في

عصرنا الحاضر خاصة ، إذا تحدثنا عن أية نهضة أو حضارة
مفلحة محسنة ، تمثلنا فوراً الاسلام الكريم بتعاليمه النورانية التي
شعت شرقاً وغرباً وأخذت بيد الانسانية في مدارج الحياة
الشريفة .

فاذا زرنا المختبرات والمصانع والمتاجر والحقول وتأملنا
المخترعات ومظاهر المدنية الرفيعة ، فنحن في كنف الاسلام العملي .
وبعبارة وجيزة إن الاسلام تمتد جذوره وفروعه إلى جميع
نواحي الحياة الجديرة بأن تعز ، والكفيلة بسعادة الإنسانية .
والمدرسة الامريكية الاسلامية — أى التي تمثل أرقى ما وصل إليه
التفكير الاسلامى في العالم الجديد ، إن لم نقل أرقى ما وصل إليه
التفكير الاسلامى إطلاقاً — لا تعرف شيئاً اسمه النوفيق بين
العلم والدين ، إذ أنها تعتبر العلم أداة للدين أو مظهراً له ، لأن
العلم يفصح عن عظمة الوجود ، وعن أزلية الله ، ولأن الدين سلوك
أدبى نقي ، والسلوك الذى يعارض العلم أو يناقضه ، لا يمكن أن
يعتبر سلوكاً أدبياً ، منذ أن التصالح العام يتمشى مع العلم وتطبيقه ،
وما يعارض الصالح العام هادم للخلق القويم ، هادم للسلوك
الأدبى ، هادم للدين . والمدونة الامريكية الاسلامية التي

شرحنا تعاليمها في معظم أحاديثنا قد خطت في تفسير الاسلام
خطوات واسعة جاوزت — كما هو طبيعي — تفاسير
جمال الدين ومحمد عبده وطنطاوي وجوهري وعبد العزيز جاويز
وأضرابهم من الأئمة المبشرين . وهي لا تعتمد إلا على القرآن
الشريف وعلى القلة الضئيلة المحققة من الأحاديث النبوية الكريمة
ثم على الأصولية العلمية التي تساندها المعارف الجامعية الصحيحة
سواء أقام بتحقيقها وتلقيها مسلمون أم غير مسلمين .

هذا هو الاسلام كما يفهم ويفسر ويدشر به في العالم الجديد
بين المعلمين ، وكما حاولنا تبليغه بأحاديثنا العربية والانجليزية
على السواء ، وعلى الأخص بالنسبة لتفاعله مع الحضارة الأمريكية
ومع الديمقراطية الأمريكية ، فاسترعت تلك الأحاديث —
وما زالت — أسماع الآلاف في الدالم الاسلامي بأسره ، حتى طولبنا
تكراراً بجمعها وطبعها لنشر في جميع الاقطار الاسلامية علاوة
على ترجمتها ونشرها بلغات شتى ، وعلى الأخص باللغات الآسيوية
التي يعرفها ملايين المسلمين السنة قومية لهم . وما نذكر هذا إلا
في مقام التدليل على التطور الصالح لأذهان المبشرين خاصة
في العالم الاسلامي ، وعلى أن الخدمة التي نقدمها خالصة لوجه الله

تلاقى تقديرأ. وفيراً لها وإقبالا عظيماً عليها، وعلى أن الحفاوة
بالنفسكير الاسلامى فى أمريكا لا تقل عن الحفاوة بالادب
العربى فيها .

وبينما لا يزال كثيرون ممن يعيشون فى العصور المظلمة
يجنحون فى الأقطار المتخلفة إلى تفسير الاسلام بجهالات الكتب
الضارة الأثرية ، يجهل معادو الاسلام فى أمريكا من طراز
الدكتور أبى على خير الله فى بيان عظمتة على ضوء العلم
كما تتضمنه الكتب الجامعية المختلفة ودوائر المعارف
والموسوعات المتنوعة الرفيعة القيمة ، وهكذا يعدون الاسلام
فهماً هو الحضارة الصحيحة

فأئمة الاسلام فى نظر المدرسة الأمريكية الاسلامية هم
الاخصائيون النفاة فى المعارف الانسانية المتنوعة فى عصرنا
هذا ، وهم الذين يفقهون الاسلام أو يستعين بهم من يفقهونه على
تفسيره معتمدين أساسياً على القرآن الشريف وذاكرين دائماً
أن الحضارة كمظهر للرقى الانسانى هى معرض للاسلام الحى .
أما إذا نظرنا عبر المحيط فاننا نجد العجب فى الأقطار
الاسلامية المتخلفة وأشباه المتخلفة ، فالآراء والكتب القديمة التى

يقال بأنها مبنية على الاجتهاد - وهو اجتهاد القرون الوسطى -
أو على الاتباع - وهو اتباع أعمى - هي الفصيل الذي لا يرد ،
حتى أصبحت الفتاوى الغاشمة تنشر وتنشر يمنية ويسرة دون حساب ،
وبات الاسلام يحمل ظلماً أوزارها ، ويعد من أجلها ديناً همجياً
وهو يرى منها كل البراءة .

فهذا قاتل ولديه لا يجوز القصاص منه ، لأن الأب سبب
لأحياء الابن ووجوده ، فلا يجوز أن يكون الابن سبباً في إفناء
أبيه ، كأنما حكم القرآن الشريف لا قيمة له ، بله فلسفة الاجتماع
والتشريع والأخلاق التي تبين خطر ذلك الرأي السخيف ، وكأنما
من يفتون بمثل هذه السخافة لا يعرفون شيئاً عن البيولوجيا
وحقوق السكان الحي مستقلاً عن أبويه أو غير مستقل .

وهذه سنن ابن ماجه والبخارى بل وجميع كتب الحديث
والسنة طائفة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل ،
ولا يرضى نسبتها الى الرسول الكريم ، صاحب أعظم شريعة عقلية
إنسانية ، فإن أغلبها يدعو إلى السخرية بالاسلام والمسلمين وبالنبي
الأعظم والعباد بالله .

لنأخذ مثلاً (سنن ابن ماجه) ، ولنستمع إلى هذا العجب

المنسوب إلى الرسول صلوات الله عليه : —

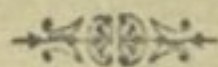
١ — الميت يعذب بما نبح عليه — (ص ٥٠٨)

٢ — إن الشمس تطلع بين قرني الشيطان فاذا ارتفعت
فارقها ، فاذا كانت في وسط السماء قارنها ، فاذا دلت فارقها ،
فاذا دنت للغروب قارنها ، فاذا غربت فارقها ، فلا تصلوا هذه
الساعات الثلاث - (ص ٣٩٧)

٣ - لما توفي القاسم ابن رسول الله (ص) قالت خديجة
« يا رسول الله ! درت لبينة القاسم ، فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل
رضاعه ! ، فقال رسول الله (ص) : « إن إتمام رضاعه في الجنة ،
قالت : « لو أعلم ذلك يا رسول الله لهُون على أمره ! ، فقال
رسول الله (ص) : « إن شئت دعوت الله تعالى فاسمعك
صوته ! ، قالت : « يا رسول الله ! بل أصدق الله ورسوله ! ، —
(ص ٤٨٤) .

وما هي إلا أمثلة قليلة من كثير سخيف ينسب إلى صاحب
أعظم شريعة عقلية قضت على الخرافات والباطيل في عصرها
ووضعت الأسس لتقدم البشرية المتواصل .

وإلى جانب هذا العبث نقرأ من الكتاب ذاته كيف أباح
 الرسول (ص) التوضؤ بالنبيذ (ص ١٣٥) ، وهو أمر طبيعي
 لأن الكحول منظف مطهر ولولا غلاؤه لكان أصلح من الماء
 للتوضؤ به ، وقياساً على ذلك كان الصابون والماء مجتمعين خيراً
 من الماء وحده للوضوء . ولكن من الناس كثيرين لا يفقهون
 سر الأحكام الإسلامية في العبادات والمعاملات وغيرها ، ولا
 يفهمون أن دينهم دين تقدمي بكل ما تضمنه هذه الكلمة من مغزى
 ودلالة ، والنبي الكريم الذي تؤثر عنه أقوال ذهبية جمة في فضل
 العلم والعلماء والحث على طلب العلم لا يمكن إلا أن يكون رسول
 الثقافة والحضارة وعدو الزهات . قال صلى الله عليه وسلم : « إن
 فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن
 العلماء ورثة الأنبياء » (ص ٨١) وقال : « العالم والمتعلم شريكان
 في الأجر ولا خير في سائر الناس » (ص ٨٣) وهكذا كان
 الإسلام منذ نشأته دين العلم والحضارة .



الاسلام والغرب

موضوع هذا الحديث حضارة وأمة ، وإن كان محوره خطاباً
إلى السيد ظفر الله خان في « المركز الاسلامي » بوشنطن عاشر
نوفمبر ١٩٥٤ ، ومن الخطباء من يمثل حقاً حضارة وأمة ، كما أن
من المعاهد - ولو لم يتم بناؤه - ما يشعر بذلك ، وهذا شأن
« المركز الاسلامي » بوشنطن . فشخصيات السيد ظفر الله خان
والسيد أمجد علي سفير الباكستان بوشنطن ورئيس تلك الحفلة
التي ألقى فيها الخطاب ، والدكتور محمود حب الله مدير المركز
الاسلامي ، أفعمتني شعوراً بعظمة الاسلام وباخلاص أعلامه
الناهين الرائدتين .

ولا يفوتني في هذه المناسبة التنويه بالمعية الدكتور حب الله
الذي يعمل ليل نهار ليشعر الأمريكيين بالمعاني الانسانية الرفيعة
التي يرفرف عليها الاسلام الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله
وشرحه وطبقه خاصة عمر بن الخطاب وأبو ذر الغفاري ، ولاقوا

في سبيله ما لا فوه من تقدير وعنت على السواء .

كان رئيس الحفلة السيد أمجد علي ، فقدم الخطيب منوهاً بمواهبه المتعددة كمحام ضليع ، وخطيب مصقع ، وقاض حصيف وسياسي محنك ، ودبلوماسي بارع ، وأديب إسلامي مستنير ، وهو الآن يعود إلى منصة القضاء ، تاركاً وزارة الخارجية الباكستانية ، بانتخابه قاضياً بمحكمة العدل الدولية . ورأيت في المعرف والمعرف الباكستان الإسلامية المستنيرة الوثابة ، ورمز الحضارة الإسلامية التي امتد رواقها شرقاً وغرباً ، متقبسة من مدينتي شتى ، ومطعمة لتلك المدينتي بحيويتها ورجاحتها ونبلها الذي لا يحد ، تلك الحضارة التي عبث بها وبفلسفتها كثيرون من المنتسبين إليها ، وكثيرون من خصومها ، حتى لقيت أخيراً من الزعماء السياسيين مثل جمال عبد الناصر ، ومن الزعماء الدينيين في العالم الجديد مثل محمود حب الله وأبي علي خير الله — من يعمل كدوداً لوجه الله في طرح الخزعبلات الملفة عنها وإبرازها في صورتها الحققة الجديدة باحترام العالم ومحبتة ، كيفما تعددت عقائد شعوبه وحضاراته وثقافته المحلية .

وفي هذا السبيل يبذل المركز الإسلامي ، جهوداً تكاد

تكون منقطعة النظير إيقاظاً وتنويراً — على الرغم من قلة
الوسائل نسبياً .

ونحن إذ ندلى بآراء المحاضر الجليل — الذى ترجع معرفتنا
بمواهبه وكفايته الفذة إلى أيام عملنا بالأمم المتحدة — بطيب لنا
التعليق عليها من باب التنوير وإنمائاً للفائدة .

وقد استهل محاضراته بقوله إن موضوع الإسلام والغرب ،
لذو سعة جداً ، حتى بعد تحديده وقصره على أصول الإسلام التى يجب
أن يعرفها الغرب ، ليتمكن من الحكم الصحيح على الإسلام وأهله ؛
فمكل ما فى وسعه الادلاء به فى هذه المناسبة إنما هو رؤوس
مسائل فحسب ، وردود على ما يطرح من أسئلة ، لأن الوقت لن
يسمح بأكثر من ذلك . ثم قال إنه لن يتناول الناحية السياسية
من الموضوع ، بل سيكتفى بالناحية الثقافية الانسانية .

وعنده أن من الواجب على الغرب أن يعرف ما هو الإسلام
الصحيح ، كما أن من الواجب على المسلمين أن يوسعوا معرفتهم
بالإسلام وأن يفهموه فهماً أفضل .

إن ازدياد سيطرة الانسان على قوى الطبيعة فى تقدم مطرد
بخطوات واسعة ، ويصعبه ازدياد الخوف والقلق . فهاذا لدى

الاسلام من حل لهذه المعضلة ؟ بل ماذا لديه من حلول للشا كل
المختلفة المتصلة بالحياة الانسانية في جميع العصور ؟ ثم ما هو
الاسلام ؟ وماذا يعنى ؟ وإلام يرمز ؟ إن الجهل بحقيقة الاسلام
شائع في الغرب ، ولكن تبديد هذا الجهل بدأ في الغرب منذ
عهد قريب ، ومع أن أمريكا آخرة الاقطار التي عنيت بهذا
الامر إلا أن اهتمامها الإيجابي بات أعظم من اهتمام سراها .

إن الاسلام لا يدعى أنه دين جديد ، فان القرآن يعد
إبراهيم والرسل السابقين مسلمين وينعتهم بهذا النعت ، والإيمان
بجميع الرسل من أسس الاسلام .

وثمة صفتان لله سبحانه وتعالى يتشبهت بهما الاسلام .
أولاهما : رعايته المادية والروحية للعالم ، وثانيتهما : رحمته .

ثم إن الاسلام يعنى في مدلوله الرئيسى أمرين :
إقرار السلام عن طريق الخضوع لإرادة الله أو سننه
كما نعرفها في قوانين الطبيعة .

وأن الله خلق العوالم لغاية تبعاً لقوانين كيفها هي تلك
القوانين الطبيعية التي يعد قبولها إيماناً ، وعلى المسلم إذ يؤمن
بهذه القوانين أن يكيف سلوكه تبعاً لها .

وأوضح السيد ظفر الله خان أن الإلهام الروحي — في
عرف الإسلام — يأتي من الله ، وأن الله يكشف عن جلاله
وليس الإنسان هو الذي يبحث عنه ، وأن الإيمان ينبغي أن
يشمل سلسلة القوانين الأدبية جميعها منذ القدم ، وأن القرآن
هو مجموعة الإلهامات الشفوية التي تلقاها النبي الكريم .

وتسأل السيد ظفر الله ما الذي يمثله القرآن ؟

ثم أجاب : إذا صح أن القرآن إلهام أو تنزيل منذ
ثلاثة عشر قرناً ، ختم إذن أن ما فيه من وحى يبقى إلى الآن .
إن القرآن عالم بذاته ، وهدايته مستمرة متطورة وفاقاً لتطور
أوضاع الحياة الإنسانية . والوحى الإلهي في القرآن يشير إلى
تنزيل الذكر وحفظه . وهذا يعني : أولاً : حفظ النصوص القرآنية
وبقاءها ، وثانياً : حيوية اللغة ونقاءها : وثالثاً : استمرار الهداية
القرآنية في كل زمان ومكان . وقد أثبت الواقع كل ذلك ،
فما تزال نصوص القرآن هي هي ، وما تزال اللغة العربية في منزلتها
الشريفة ، بل إن عدد متكلميها أضعاف ما كان قبلاً ، وهي معدودة
ذات عبقرية تقدمية كفيلة بالنمو المطرد . وكل هذا يؤيد منزلة
القرآن ولغته ومنزلة النبوة الإسلامية عنه وعن رسالته .

وتساءل المحاضر : أیصرح القرآن بشيء عن سيطرة الانسان على الطبيعة؟ ویأتی بشواهد عدة من الآیات القرآنية كرد إیجابی كما یأتی بشواهد تحث الانسان على استعمال عقله فی فهم السكون وتدبر الامور، وكل هذا یثبت أن الله خلق العالم بأسره ، بل كل شيء لیكون فی خدمة الانسان . وقد حثه دائماً على البحث العلمی والتأمل ، وذكره بأن السكون لم یخلق عبثاً .

واهتم المحاضر بتوكید : ١ - أن الاسلام رسالة عالمية يتضمنها القرآن . ٢ - أن فكرة الله واحدة فی جميع الشرائع السماوية ، ولو أن الاسلام شغل خاصة بعالمية الدين ، وبرحمة رب العالمين ، وتكرار البیان عن ذلك، كما نرى فی : (بسم الله الرحمن الرحيم - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - قل یا أيها الناس انی رسول الله اليكم جميعاً) .

ونصح المسلمين بالمواظبة على دراسة القرآن ، كما نصح غیر المسلمين بالنأمل فيه أحياناً ، نظراً إلى ما جمع من الأدب والحكمة ، فهو ذخيرة من الهداية والروحانية ، وهو فلسفة عملية توازن بین الواقع و بین العلم وتحمی الانسانية من الوقوع فی الهاربة . وقال إن الاسلام یترك سبیل الاختیار أمام الانسان وحيثما

وجد الاختيار توجد المسئولية ، وإن الله قريب إلى المؤمنين
ولا حاجة بهم إلى وساطة لديه — « وإذا سألك عبادى عنى
فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى ، فليستجيبوا لى
وليؤمنوا بى ، . والله فى غنى دائماً ، أما الانسانى فهى المحتاجة
والانسان هو الخاسر إذا لم يسلك السبيل القويم إذ تلك سنة الله
« إن الانسان لنى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ،

أما عن ترجمات القرآن من أقلام الغربيين فقد أوصى السيد
ظفر الله خان بالاطلاع أولاً على المختارات التى نشرتها شركة
(ماكيلان) من قلم الأستاذ (أربرى) ، ثم على الترجمة التى قام
بها (مارماديوك بكتول) وظهرت طبعتها الأمريكية حديثاً بشمن
زهيد ، وبعد ذلك يمكن الاطلاع على الترجمات ذات الشروح
الضافية من أقلام علماء المسلمين الاصيلين وعلى رأسهم محمد على
ويوسف على .

ومن باب التعليق الادبى والدينى معاً نود أن نقول عن
اختلاف التعابير والصيغ فى القرآن الشريف إن مرجعها هو نوع

الالهام وكيف تلقاه الرسول فعبّر عنه بتلك اللغة القدسية . إن إخلاص الرسول أمر لا ريب فيه ، وهذا يشمل احساسه بتلقى الوحي عن طريق الملاك ، وأما لماذا يكون التعبير أحياناً بصيغة المتكلم أو بصيغة المخاطب أو بصيغة الغائب فردّه إلى الظروف وماهية التبليغ والحالة النفسية أو العصبية عند الشعور بتلقى الوحي ، وهو على أى حال بيان إلهي لا عوج فيه ، بل فيه مادة لا تحد لتأمل السيكولوجيين وأهل الأدب والعلم عامة .

وثمة مسألة أخرى مهمة لا نرى بأساً من تكرار التنبيه إليها لتنوير الغربيين خاصة . فلو وجدت حكومة عالمية لجاز حينئذ أن يكون للمرء جنسيتان : جنسيته العالمية وجنسيته المحلية . وكذلك الحال بالنسبة للإسلام الذي يعترف بجميع الأديان السماوية السابقة - فان عالميته تسوغ للمرء أن تكون له عقيدتان لا تنافر بينهما : ديانته الخاصة وشريعة الإسلام .

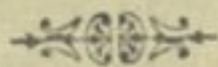
إن الغرب محتاج إلى الشرق احتياج الشرق إلى الغرب ، فالعالم في تقدمه وحدة لا تتجزأ ، والإسلام في أصله كالمسيحية تراث شرقي عظيم يمتد برواقه إلى جميع الجهات فليس بإمكان الغرب أن يتجاهله وهو الذي يعتبر الغرب - بكل ما يرمز إليه -

أحد أبنائه وتراثه من تراثه وصوالحه من صوالحه التي تشمل
الانسانية جمعاء .

ومسألة أخرى جديرة بالنظر اللغوى هي التعبير بصيغة المفرد
المذكر عن القوى الإلهية أو الألوهة ، وهذه مسألة تقليدية صرفة
من ناحية التذكير ، أما من ناحية المفرد فهي رمز إلى الوجدانية
أو الشمول . وهذا الشمول تنطوى تحته عوامل شتى وصفات
شتى . فحينما نتحدث عن الخالق سبحانه وتعالى نعني جميع العوامل
المتفرعة عن الوجدانية العظمى التي نحسها بالوعى واللاوعى على
السواء ، أو بصميم وجداننا ، دون أن نفهمها تماماً ، لأنها فوق
متهى ادراكنا .

وغاية إحساسنا بالله هي اندماجنا الروحى فى عوالمه كما يندمج
الشاعر أو المغنى أو الفنان فى موضوع قصيده أو نشيده أو فنه فيصبح
الشعر والشاعر ، واللحن والمغنى ، والفن والفنان شيئاً واحداً .
أما عن عبقرية اللغة العربية التي نزل بها القرآن الشريف فقد
أجمع العارفون الفيولولوجيون على أنها لم تبرز ، وأنها كانت جديرة
إذن بهذا التنزيل ، وقد أثبتت القرون المتوالية رفعة منزلتها
وصلاحيتها التامة لإداء الرسالة الانسانية التي عهد بها اليها .

وإن الناقد المستقل ليقف مشدوهاً أمام العظمة الفكرية التي
تجلى بها الاسلام على لسان نبي أمي ، إذ لم يسبقه دين من الأديان
دعاً إلى تقديس العقل والاستنارة به كما دعا الاسلام ، وفي
ظروف أقل ما يقال فيها إنها كانت متشعبة بالجهل والفوضى
والفسوة ، وبقي الاسلام نصيراً للعقل وآثاره ، وإن يتخلى عنه
وعنها إلا إذا تخلى عن ذاتيته ، وهكذا عد نفسه غير غريب عن
الحضارة الغربية ، بل عدها ثمرة تعاليمه وجهوده المباشرة وغير
المباشرة مدى العصور ، وهكذا وجب على الغرب أن يقف ويتأمل
هذا المعلم الذي يطالبه بحقوق الأبوة من مودة وتعاون وفهم
صحيح !



روح الاسلام

كان النبي محمد صلوات الله عليه خاتمة الرسل ، وجاء القرآن الشريف خاتمة الكتب السماوية ، وصرح الرسول الكريم بأن العلماء ورثة الانبياء . وعلى هذه الاعتبارات مجتمعة وضع مبدأ التطور في الإسلام وفاقاً لكل زمان ومكان . فإذا نزعنا عن الإسلام هذا المبدأ الذي فهمه وطبقه الخليفة عمر بن الخطاب بصفة خاصة ، وجاراه في ذلك بعض التابعين والحاكمين من أعلام الإسلام ، نزعنا عنه مميزات كبرى ورددناه إلى مستوى الأديان البدائية من ناحية المعاملات على الأقل .

هذه الحقيقة العظمى التي لا يفهمها الجامدون هي من لب اللباب . وعدم إدراكها معناه عدم إدراك روح الإسلام . وقد رأينا تاريخ الشريعة يدلنا في غير غموض على أن جمهرة التقدميين في الماضي كانوا أنفسهم يخشون جمود العمامة ، فطبقوا القياس تطبيقاً محدوداً جداً لم ينصفوا به الإسلام ولا أنفسهم ولا أهل

زمانهم الإنصاف الواجب .

نحن الآن قد تجاوزنا منتصف القرن العشرين ، وقد تلقينا
عن شيوخنا المسلمين أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن
الصالح العام هو مصدر الإرشاد للتشريع والسلوك ، فهل يجوز
أن نبيح للرجل في هذا العصر ضرب المرأة ؟ وهل إذا حرمتنا
ذلك عليه نكون قد خالفنا حكم الله تعالى في قوله العزيز :
« واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ؟

بداهة لا ! وإلى أن يفهم الغافلون المنحجرون أن من أعظم
مزايا القرآن الشريف إعطاء المثل في الحكم أو المعاملة ، وأن كل
هذا عرضة للتعديل والتبديل في حدود الاسلام الأدبية تبعاً
للمصلحة العامة — إلى أن يفهموا هذا جيداً فإنهم بعيدون كل
البعد عن روح الاسلام التي تنادى دائماً بالتطور والتقدم ،
والمدهش أن هؤلاء السادة لا يفهمون من تلك الآية الكريمة
إلا تسويغ ضرب النساء في زمن قريب من وأد البنات وقسوة
معاملة النساء ، ولا يفهمون منها ولا من غيرها من الآيات الهادية
التبغيض في الطلاق والدعوة إلى الرفق بهن وتحاشي غبنهن . قال

تعالى : « وعاشروهم بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن
تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . وقال جل شأنه :
« ... وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » . تأخذونه
بهتاناً وإثماً مبيناً ؟ » .

هذا ما نادى به الإسلام وهو بحيرة الوحشية والقسوة
الإجرامية نحو المرأة ليدفع عنها الحيف بقدر المستطاع في
ذلك الزمن .

أفتنقلب الآية إذن وتصبح محاولة الإسلام حمايتها من الغبن
والاذى تسكاة لاهانتها واستعبادها ؟ تعالى الله عما يزعمون !

قال صاحب الأغانى (١) : « وقد قيس بن عاصم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه
من الموءودات التي وأدهن من بناته فأخبر أنه ما ولدت له بنت
قط إلا وأدها ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه
فقال له : كنت أخاف سوء الاحدوثة والفضيحة في البنات فما
ولدت لي بنت قط إلا وأدتها ، وما رحمت منهن موءودة قط إلا

(١) الطبعة الاولى (بولاق) ، ج ١٢ ، ص ١٤٩ :

بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر ، فدفعتها أمها إلى أخوالها ،
فكانت فيهم ، وقدمت فسألت عن الحمل فأخبرتني المرأة أنها
ولدت ولداً ميتاً . ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية
ويفعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلت فرأيتها قد ضفرت
شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق (١) ونظمت عليها
ودعاً وألبستها قلادة جزع (٢) وجعلت في عنقها مخنقة بلع (٣)
فقلت : من هذه الصبية ، فقد أعجبنى جمالها وكيسها ؟ فبككت ،
ثم قالت : هذه ابنتك ! كنت أخبرتك أني ولدت ولداً ميتاً ،
وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ! فأمسكت عنها حتى
اشتغلت عنها . ثم أخرجتها يوماً فخفرت لها حفيرة فجعلتها فيها
وهي تقول : يا أبت ! ماذا تصنع بي ؟ ! وجعلت أقذف عليها
التراب وهي تقول : أمغطي أنت بالتراب ؟ أناركي أنت وحدي
ومنصرف عني ؟ ! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى وارتها
وانقطع صوتها ! فإرحمت أحداً ممن واريته غيرها فدمعت عينا
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن هذه لقسوة ، وإن من

(١) الخلق (بفتح الخاء) ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران
(٢) خرز فيه سواد وبياض . (٣) المخنقة : القلادة

لا يرحم لا يرحم !

هذه القسوة الاثيمة العاتية ارتكبتها من وصف بأنه « سيد
أهل الوبر » ، فما بالك بعامّة العرب ؟ وما جاء الاسلام ليستبقى
شيئاً منها بل ليقضى عليها فوراً أو تدريجياً حسب الظروف كما
صنع بمنع تعدد الزوجات وتثبيط الطلاق ، فإذا بكل هذا يفسر
عكسياً تبعاً لاهواء الفقهاء ، وإذا بالأوضاع تقلب ، وإذا بروح
الاسلام الحقّة تنسى أو تشوه !

وفي القرآن الشريف تعاليم لإنصاف المرأة وكرامتها تعتبر
آية في السماحة بل ثورة فكرية عظيمة في وقتها ، فالقياس عليها
يجب أن يكون نسبياً اعتباراً لزماننا ، لا تقييداً بحرفيتها التي كانت
ملائمة لقرون خلت فحسب ، وذكرت على سبيل المثال ، وكانت
حكمتها متعلقة بمناسباتها لا مستقلة عنها .

على ضوء الصالح العام وعلى ضوء الظروف الحاضرة اختارت
دولة (الباكستان) المسلمة العريقة البيجوم ليافت على خان
سفيرة لها ، واختار برلمان (جزائر المولديف) الاسلامية سيّدة
لتكون رئيسة ، ولو دعا الصالح العام لما حيل بين المرأة ذات
الكفاءة الممتازة ورئاسة الدولة ، ويومها آت لا ريب فيه ،

لأن الإنسانية بلغت عهد تكافؤ الفرص ، عهد الحرية والمساواة
والأخوة الإنسانية ، فكيف بالاسلام وقد بشر بكل ذلك منذ
أكثر من ثلاثة عشر قرناً ؟

إن روح الاسلام التي تقر مبدأ الصالح العام بل تقده
تسمح في هذا العصر بأن تكون المرأة قوامة على الرجل بقدر
ما تسمح بأن يكون الرجل قواماً على المرأة ، إذ أن مرد ذلك
إلى الاعتبار الاقتصادي لا أكثر ولا أقل ، بخلاف ما كان عليه
الحال في فجر الاسلام . وهانحن في الاقطار الاسلامية الراقية
نجد الزوج والزوجة يتضافران على الكسب للعائلة ويقسمان
النفقات ، كما قد يمرض طويلاً سيد الأسرة فتصبح سيدتها
— بكدها وكسبها — هي القوامة عليها وربما كان ذلك طول
الباقى من حياته .

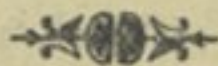
لقد آن الاوان لأن يفهم كل من يتغنى بإعزاز الاسلام ،
سواء أكان من أهله أم من أصدقائه ، بأن الاسلام لا شيء في
المبنى والمعنى إذا ما تجرد عن روحه المستمدة من التجربة والصالح
العام ، والقابلة دائماً للتطور الذي لا ينتهى ، وهذه لا غيرها
فلسفته الحقة الخالدة .

وأما التغنى بأبي داود والترمذى والنسائى ومسلم ، وترديد
الاحاديث الملفقة التى لا تنسجم وتعاليم القرآن ، وأما سوء تفسير
آيات الكتاب العزيز ، وأما الجهل بروح القرآن التى تشع من
وراء هذه الآيات ، وأما التنازل عن صلاحية الاسلام لكل
زمان ومكان فبمثابة الخيانة لرسالة الاسلام الخالدة .

إن جميع الكتابيين قديماً وحديثاً هم فى عرف الاسلام بمثابة
مجنونيه ، ورسائله غير محصورة فى قطر أو فى جيل ، فكل قول
أو عمل يحصر الاسلام فى بيئة معينة بدل إفساح الآفاق
والأزمان له هو طعنة الاسلام من الخلف .

وهل بنا من حاجة لأن نقول لآى مسلم مستنير واع إن
الحضارة العلمية التى تنقسم بها مدنية القرن العشرين هى وليدة
تعاليم الاسلام ، هى منه وإليه ، ولا يمكنه أن ينكر أبوتها ولا
أن يسمح لأحد كائناً من كان ، بانكارها ؟ وهل بنا من حاجة
لأن نؤكد أن أية عيوب خلقية أو أدبية تنسب إلى تلك الحضارة
زوراً إنما هى من الأمراض التى لا مفر منها والتى تتبرأ منها
مبادئ تلك الحضارة تبرؤ الاسلام ذاته منها ؟ وهل بنا من
حاجة لأن نردد أن من يفرقون بين الشرق والغرب إنما يعيشون

بالحقائق التاريخية عبثهم برسالة الاسلام ؟
إن الاسلام قام في نشأته على دعائم المنطق والعلم ، وبهما
بلغ ذروة عزته ، ولن تعود له مكانته السابقة إلا بهما ، ولا
رسالة له ولا روح من درنهما ، وهو في عالميته لا يعرف شرقاً
ولا غرباً ، وإنما يعرف الانسانية جمعاء ، ويقول للبدنية العلمية
الحديثة : لولاي يا بني لما كنت ، فأنا موجد عصر النهضة ،
وأنا حامى رجال الفكر والعلم ، وإذن فعلباؤك هم علماني ، وهم
جد أهل لتفسير مبادئ وتفسير دكتاني ، المنزل . هذه هي
روحي ، ومن عارضها فلا حق له في الانتساب الى ، فإلى شأن
بالظلام ، ولا بالقرون المظلمة ، ولا بالعقول الضيقة التي لا تفهم
أن أئمة هذا العصر هم أوسع ثقافة وأحصف رأياً وأبعد نظراً
وأجل إنسانية من الأئمة القدامى الذين صاروا في ذمة التاريخ
البعيد ، وصارت معظم توأليفهم في حكم الاثریات فحسب .
روح الاسلام إذن هي روح التجدد المستمر المبني
على التجربة العلمية لسعادة البشر أينما كانوا وفاقاً لتعاليمه الادبية
المخالدة وتجارباً مع الصالح العام .



هل الخالق مسئول عن الخلق ؟

يا من أثبت إليه كل وجيعة وأراه أوفى من يكون رحماً
من كان لا ينسى لديك بصحة حاشاك أن ينسى لديك سقمها
وأنا الفتى الجاني ليسألك الرضى حباً ، ويأبى أن يعد أثماً
عرف الصلاح بنفسه من نفسه فرأى بها التحليل والتحريراً

بماذا تشعر هذه الأبيات التي قالها صاحبها الشاعر المسلم
منذ أربعين عاماً أو تزيد ؟ إنها تعبر بصراحة عن هذه العقيدة
وهي أن الإنسان مخير إلى مدى بعيد ، وعليه أن يعرف الصلاح
بنفسه من نفسه فيقبح الحلال من الحرام ، ويتبع الأول
لا خوفاً من عقاب ولا طمعاً في ثواب ، ولكن لأنه الحق
ولأنه الخير ولأنه الجمال ، ولأن الكرامة والسعادة في اتباعه
ولأن رقى الإنسانية مرتبط به ، ومع ذلك فالإنسان أيضاً مسير
لأنه نقطة أو قطرة في بحر الألوهة العظيم ، والجاذبية بينه
وبين هذا الخضم الهائل دائمة ، والبحر مسئول عنها في حدود

القوانين الازلية التي صهبت الكون وتكيف بها .
والإبتهاال إلى الله هو تشوق هذه القطرة إلى المحيط .
لأنه تجاوب ومحبة وإيمان عميق ، ولا يمكن أن يضيع هذا الإبتهاال
إذا كانت القطرة غير متنافرة مع المحيط ، راضخة للقوانين
الازلية التي لا يعتبر الرضوخ لها عبودية بل نظاماً ، والنظام
من صميم الوجود .

بهذا المعنى العام كان مهندس الكون الأعظم مسئولاً عنه ،
كان المحيط مسئولاً عن القطرة ، وكان الخالق سبحانه مسئولاً
عن الخلق .

إن من العبث مثلاً أن يرتكب الإنسان الجرائم ويخالف
سنة الطبيعة ثم يحمل الله — جل شأنه — مسئولية مآله وعقبي
أعماله ، فقد وهب العقل المرشد ووهب حرية التصرف ووهب
النصيحة الربانية بواسطة الرسل ثم بواسطة العلماء خلفاء الأنبياء
ولا ضابط له سوى النظام الكوني الذي يخضع الوجود بأسره
له ، لأن النظام رابط السلامة وسلم النجاح ، فمن الوهم بعد ذلك
بل من الضلال ، أن يتصور أن جرائمه تمضي بلا عقاب ، وأنه
لا حسيب عليه ، بدعوى أن الخالق — لو أراد — لمنعه من

صنع ما صنع ، لأنه مسئول عن الوجود .

هذه مغالطة ما بعدها مغالطة إذ لو سير الانسان بدل أن
يخير لضاعت مع حريته شخصيته ، وانتفت الدوافع لرقيه
واعتزازه .

هذا إلى أن الحكمة الكبرى من هذا الوجود أو فلسفته ما
تزال فرق لإدراك البشر في مرحلة تطورهم الحاضرة .
وإذا كانت الرحمة من أجل صفات الله ، فع ذلك لنا أن
نستشهد بقول أبي العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجرى على اليبس !

والإبتهاال أو الصلاة نهج لتقوية معنوية المؤمن ، ونهج
للاندماج الصوفي في محيط الالوهية ، فهي تاج العمل الصالح إذا
ما وجد ، وبغيره لا تكون للصلاة أو للإبتهاال قيمة إلا إذا
كانت أو كان اعلاناً عن توبة يصاحبها أو يعقبها العمل الصالح

إن التأميل في رحمة الله — كالتأميل في عون — صواب ،
والله لا يحابي ، وإنما يكافي . ويجازى وفقاً لسنته الخالدة .

وكلنا أبناء الله لا ريب ، وما دمنا محسنين عاملين فالله لا يغفل
جزائنا ، وقد تتجلى آياته لهدايتنا ، وإذا أوجدنا فهو مسئول
عنا بالمعنى العام الذى المعنا إليه ، ونشدان الهداية أو الخير
من الله مع العمل لاستئصال ذلك فضيلة يدعو إليها الاسلام .
أما الاتكال الاعمى المقرون بسوء التصرف فلا عاقبة خير له ،
والانسان مسئول عن نتيجته .

جاء فى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم » ، فان العرق
دساس ، ولو أعار المسلمون هذا النصيحة الحكيمة التفاتهم
لما عانوا من سوء التناسل شيئاً ، وأغفلهم أو إغفال كثيرين
إياها كانت نتيجته الإساءة إلى نسلهم وما جره ذلك من عواقب
سيئة هم المسئولون عنها ، لا الله سبحانه وتعالى ، لانهم هم الذين
لم يحترموا ناموس التناسل .

أما عن حربة الارادة الانسانية ونتائجها المنطقية فحسبنا
هذه الآية الكريمة : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ،
فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ،
وما أنا عليكم بوكيل ،

وأما عن حسن الثواب من الله والناس فدليله هذه الآية

الكرامة : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »
ومثلها قوله تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة
يضاعفها » . وإذا كان جل شأنه قد خلق كل شيء بقدر ، فالإنسان
مسهم في ذلك القدر ، مسئوليته تعظم بقدر ذكائه وتفكيره .

هذه هي نظرة الاسلام الصحيحة ، يساندها العلم والتفكير
الأدبي المستقيم ، والتواكل بحجة أن الخالق مسئول عن الخلق . يفر
منه الاسلام أشد الفور . قال تعالى : « وما يستوى الأعمى
والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » ، وعكس
التواكل — إذا شد واتخذ صورة الجبروت — بغض أيضاً
للإسلام . قال تعالى : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا . كذلك نجزي القوم
المجرمين » . وهذا هو نهج الطبيعة في إصلاح الإنسانية إذا
عجزت عن إصلاح نفسها .

منذ نيف وثلاثة عشر قرناً جاء محمد بن عبد الله برسالة
فريدة وإن عدت تكلمة للأديان السماوية السابقة — وهي رسالة
ذات شقين : أحدهما الإيمان برعاية الله وفضله ، والآخر إيمان
الإنسان بنفسه ليستحق تلك الرعاية وذلك الفضل . وهذا الإيمان

يشمل إيجاد النأخى وتوطيد السلام بين البشر . وهذا وذلك
يرتبان على قانون أدبى تشبعت به صحائف القرآن
الشريف ، ومحوره كلمة واحدة هي « الحق » ، أو « العدل » .
ويبشر ذلك القانون الأدبى بأن صائى الحق ورافعى العدل
هم المفلحون عاجلا أو آجلا ، والله مسئول عن خيرهم
خاصة ، وابتهاهم لله مزيج من التدين والنصوف والفلسفة
والشعر ، وهم خليقون به لأنه اندماج الجزء الصالح فى الكل
الأصلح ، وهو ابتها لن يخيب ، وخلفه إيمان بمسئولية الخالق
عن الخلق .

وقد يقول غير المؤمنين إن هذا وهم فى وهم ، كما قد يسخر
المتشككون أو يتحدثون حديث الحيرة كما صنع المعرى والحيام
وقد يزعم الملحدون أن الكون مجرد صدفة ، فلا خالق
ولا مخلوق ، وما علينا إلا أن نكون واقعيين فنعرف الكون
بخصائصه ولا تنمادى فى التفلسف باحثين بحث المتخيل الحالم عما
خلف هذا الكون من ألوهة مزعومة . ولكننا بوجداننا —
حتى فى هذا العصر العلى ، بل بفضل هذا العصر العلى — نرى
أن الكون ليس مجرد صدفة مبهمة ، ونشعر ونؤمن بأن للنظام

الكو في هدفاً سامياً من الخير والجمال ، وأن الآلوهة — أو القوى
السامية المبدعة لكل هذا والمسيرة له — هي أصلنا وملاذنا في كل
وقت ، مهما حبقنا من حرية في تكييف أنفسنا ونسلنا وتقرير مصيرنا .
نعم ، إننا نشعر ونؤمن بأننا من تفحات الآلوهة ، وما دمنا
لا نشور على ناموسها الأزلى فنحن منها وإليها ولا غنى عن عونها ،
وابتهالنا إليه قوة يحسها الطفل المتعلق بأبيه المؤمل فيه .

والخلاصة : أن الاسلام حينما يبشر بحربة الانسان
في تقرير مصيره ومصير نسله يبشر أيضاً بمسئولية الخالق عن خيره
وسعادته بالمعنى الأعم ، أى للجنس البشرى تاج الخليفة المتطور
نحو السكالم ، ويبشر بمسئولية الخالق نحو الأفراد الخيرين وغير
الخيرين على السواء عن طريق ناموسه الحكيم فيتال الخير الخير
وينال سواه ما يستحق من جزاء جلبه على نفسه بنفسه وهو كامل
الاختيار . ولو ذهب عامل الاختيار لانهطت منزلة الإنسانية
ولخسرت أضعاف ما تكسب ، ولفسد قانون بقاء الأصلح ،
واضاعت الحكمة الربانية التي جعلت للانسان منزلة خاصة في
هذا الوجود لغايات جليلة نحن بعضها ولا نفقه - في مستوى
التطور الذى بلغناه - جانبها الأعظم .

الحقيقة ضالة المؤمن

في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٤ أقيمت محاضرتان عن الاسلام إحداهما
في نيويورك والآخرى في واشنطن ، الأولى تحت رعاية مجلس
الشؤون الإسلامية ، وكان المحاضر الدكتور محمود يوسف
الشواربي الأستاذ بجامعة القاهرة والاستاذ الزائر بجامعة
نوردهام ، وعنوانها « جذور الثورة المصرية -
the Roots of the Egyptian Revolution »
والثانية برعاية المركز الإسلامي ، والمحاضر الدكتور فريد
زين الدين سفير سورية بوشنطن ، وعنوانها الإسلام وهو يعمل
Islam in action ، - وعلى الرغم من اختلاف
العنوانين فقد اتفقتا في الصبغة الإسلامية ، وفي أن إلقاءهما كان
بلغة انجليزية فصيحة . وكان من حظنا الاستمتاع بمحاضرة
الدكتور الشواربي والتعقيب عليها ، ثم الاستماع إلى شريط
مسجل لمحاضرة الدكتور فريد زين الدين .

وأول ما أحسنا به من السرور أن يتولى المحاضرة مسلمان
فاحلان ، وأن نجتمع في آن بين ممثلين لمدرستين تقدميتين .

١ — المدرسة الشرقية الإسلامية التي تركزت في الأصولية
العلية في الربع الثاني من هذا القرن خاصة وبرزت تعاليمها من
(ندوة الثقافة بالقاهرة) بعد أن مهد لها جمال الدين الأفغاني
ومحمد عبده وطنطاى جوهرى وعبد العزيز جاویش .

٢ — المدرسة الغربية الإسلامية التي احتضنت تعاليم الأولى
وتوسعت فيها تبعاً لسنة التطور ، وبرزت تعاليمها في العقد الأخير
ومن أقطابها الدكتور أبو على خير الله والدكتور فريد زين الدين .
وتتمثل صفوة تعاليم الأولى في كتاب « عظمة الاسلام » ،
للأستاذ رضوان إبراهيم الذى أصدره بالقاهرة ، وتتمثل صفوة
تعاليم الثانية في الدراسات الإسلامية المتعددة التي أذعنناها منذ
سنوات على (صوت أمريكا) وتناقلتها صحف ومجلات من
بينها « نهضة العرب » ، كبرى الصحف الإسلامية في العالم الجديد .

ولسنا هنا بصدد الكلام على نقاط المحاضرتين ، ولسكننا
في موقف التوكيد لمسائل خاصة بالمحاضرتين والتعليق عليهما .
أحسن الدكتور الشواربى تبياناً أن جذور الثورة المصرية

بعيدة في أصولها التاريخية وليست بنت العهد الحاضر، كما أحسن
بتنويه بإسهام مصر في نقل الحضارة من الشرق إلى الغرب إبان
القرون الوسطى، وقد أسهم في التنوير الانساني حينئذ علماء الاسلام
والمسيحية على السواء منذ كانت مصر حصناً لكتائهما . وأحسن
الدكتور الشواربي بتنويهه بسماحة الاسلام، وأنه ليس في موقف
المنافس للنصرانية بل المتعاون معها لخير الانسانية، فالمسلم لن
يكون مسلماً حقاً قبل أن يكون مسيحياً حقاً، ومبادئ الثورة
الأمريكية أو الثورة الفرنسية جاء بها الاسلام من قبل وتثبت
بها عملاً، وإنه لعظيم التسامح مع الأقليات، وليس المقصود بالجامعة
الاسلامية مناوأة المسيحية بل التأزر معها لخير الناس .

وعندنا أن الشعب المصري بفطرته شديد الميل إلى الحرية،
يحتقر الظالمين، وهذا واضح من تاريخه القديم، والفترات التي
اكتسح فيها الغزاة مصر ليست مديدة بالنسبة إلى تاريخها الذي
يحسب بعشرات القرون في حين يحسب تاريخ أمريكا بعشرات
السنين على حد تعبير الدكتور الشواربي .

وقد أشرنا في مناسبة سابقة إلى ما رواه هيرودتس
في زيارته مصر وتعليقه على الأهرام وسؤاله الناس عن بنائها،

فكان جواب بعضهم — تفادياً لذكر خوفه وغيره من الجبابرة —
أن الباني لها هو د فلان ، الراعي ، لجمع هذا الجواب بين
الامتعاض والسخرية !

وقد اشتهر المصريون بسخريتهم من الظالمين ، كما فعلوا
ببطلليموس — والد كليوباترة — الذي لقبوه د بالزمار ، ولم
استماتوا في الدفاع عن حريتهم في موقعة رشيد وموقعة كفر الدوار ،
وقديماً كاد يوليوس قيصر تضليه الهزيمة على أيديهم في معركة
بالاسكندرية ، ولم ينبج من الدمار إلا بأعجوبة .

وقد جنت الأمراض المستوطنة على المصريين أكثر مما
جنت جحافل الغزاة ، كالانكلستوما والبالهارسيا .

ومذ كان الاسلام ولا يزال ديناً تطورياً ونهجاً تقديمياً
للحياة ، رائده الصالح العام فقد بلغنا الآن عهداً لا نتحدث فيه عن
الأكثريّة والأقليات ، بل يجب أن تضم الدولة الاسلامية
جميع الطوائف تحت جناحها دون قيد ولا شرط ، والمقصود
بالدولة الاسلامية تلك التي تجعل ناموسها الأعلى تعاليم الاسلام
الأدبية التي لا يجوز أن يشذ التشريع عنها ، والنص في الدستور
على أن دين الدولة هو الاسلام لا معنى له ولا موجب ، فالدولة

بمجموع الافراد وبكل الطوائف لا بأغليديتهم ، ومن الكفاية
أن يذكر في الدستور أن التشريع يجب ألا يخالف مبادئ
الاسلام الادبية .

هذا ما تقضى به طبيعة الاسلام العالمية الدائمة التطور والرقى
ومذ كان الإسلام عقيدة إيجابية بانية ، بجميع الحركات الهدامة
عدوة له ، وكل ما ينطوى على الغدر والقتل والاضرار بالصالح
العام مخالف للإسلام مخالفة تامة ولو تمسح به من يزعمون أنهم
من خيار المسلمين ، ويطيب لهم نشر التعصب الاعمى والترويح
للقتل وارتكاب الجرائم ومحاربة الثقافة الحرة والعلم الصحيح
والحضارة الرفيعة .

لم يفت الدكتور فريد زين الدين في خطابه الجامع أن يلم
بسيرة الرسول الكريم وبنواحي عبقريته الحققة ، وقد جمع في
هذه المحاضرة مسائل من اللباب الذي يوضح جلال الاسلام
لجئات محاضراته زبدة ثمينة لتعاليم الاسلام وصورة حققة لفلسفته .
ومع أننا في أحاديثنا المتعددة تقدمنا بالآراء التي رددناها
إلا أننا نعتبر هذه المحاضرة بما لا يستغنى عنه كتمهيد بليغ
سريع عن الاسلام لتنوير غير عارفيه ولتذكير عارفيه .

ومن أهم ما عني بتقريره أن الاسلام لا يعرف شعاراً له
أعظم من الحق ؛ وأن الحقيقة ضالة المؤمن ، وأن الشريعة
الاسلامية قائمة على العقل والعلم ولا يمكن أن تخالفهما أو يخالفهما
وأن الاسلام ليس ديناً بالمعنى الضيق ، بل هو نهج للحياة
يشمل جميع مرافقها ؛ وأن الاسلام طبيعته النطور ، وتطبيقه
يقوم على الدستور القرآني والحديث والسنة والقياس والاجماع
والاجتهاد ؛ وتوقف الاجتهاد معناه الجرد أو الموت أو الخواء
(Vacuum) ؛ وأن الطبيعة لا تقبل الخواء بل لا بد من
ملئه بشيء حي ، ومن ثمة هرعت الحضارة الغربية لملء هذا
الخواء الذي خلقه الجمود في حياة المسلمين ؛ وأن إزالة الترهات
والخزعبلات من طريق الاسلام سمح بعودة الاجتهاد من تلقاء
ذاته ؛ وهذا ما صنعه محمد بن عبد الوهاب ، فتعدد المجتهدون
والمصلحون في عصرنا الحاضر الذي يشهد فيه الاسلام بعثاً
عظيماً ، وأن الوطنية والاسلام هما الاملان الفويان في هذا
العصر للاصلاح في المحيط الشرقي خاصة ولأنهما لنهران يصبان
في محيط واحد .

وكل أمريكي حر استمع إلى هذه المحاضرة أو وقف على

خلاصتها لا بد أن يشعر شعورنا بوجوب شيوعها، لا لمحتوياتها
المبصرة فحسب، بل لما فيها من مسائل تستدعي البحث والنظر
مثال ذلك قول الدكتور: إن الاسلام لا يعترض على حكم
الاغلبية لأن طبيعته ديمقراطية، ولكنه لا يكتفى بالكم وحده
فالاغلبية ليست مجرد عدد.

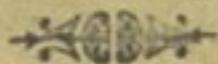
وعندنا أن الاسلام الذي يحترم الصالح العام لا يتغاضى في
تطوره عن حق الاغلبية العددية كما لا يمكنه أن يتغاضى عن
نتائج البحث الدستوري في أصالح أنواع الحكم.
ومثال ذلك أن الاسلام لا يقبل المتجبرين ولا الحكام
بأمرهم وإن قبل تركيز السلطة في يد حاكم دستوري في
ظروف خاصة.

ومن النقاط التي لا يمكن تجاهلها أن تفسير النعالم الاسلامية
بل حتى تفسير القرآن، لم يعد وفقاً على المسلمين وحدهم، متى
خلصت النيات، لأنه يتمشى مع الاصولية العلمية الكاملة، وكم من
تفاسير لا قيمة لها، لأنها تنهض على إلغاء العقل والمعرفة.

وبحسبنا تأكيد الاسس التي ينهض عليها والهداية التي
يوحى بها، ومن السهل التفسير والتطبيق على ضوء العلم والمنطق

والحاجة العامة ، مع التطور حسب الظروف .

ليس الدكتور الشواربي ولا الدكتور زين الدين متخصصين
في الشؤون الدينية ، ولكن كلا منهما باطلاعه الواسع وثقافته
العصرية استطاع أن يعرض على نخبة من الأمريكيين المثقفين
صوراً حقة جذابة للإسلام ، وكان من حقه أن يفعل ذلك . إذ
ليس في الإسلام كهنوت ، وقد خدما بمجدهما الطيب العلاقات
بين الثقافتين الإسلامية والأمريكية ، فخدما بذلك مساعي
المحبة والسلام .



تعاون الاسلام والمسيحية

من الحقائق المسلم بها أن القرآن يجب أن يعاد النظر في فهم
تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر ، ولا بد من ظهور تفاسير
جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم ، يؤلفها المطلاعون
الواعون من الاحرار المفكرين . وقد أتيح لنا منذ الربع الثاني
لهذا القرن أن ندعونا لمذهب الاصولية العلية بمصر ، وشجعنا
ظهور تفاسير جديدة .

ولئن كنا لم نزل بعيدين عن الهدف ، فإننا الآن أقرب إليه
ما كنا لسنين خلت على الرغم من قيود البيئات الشرقية التي
نجمت في مسخ تعاليم الإسلام التقدمية حتى أصبحت جد غريبة
عنه . وراح المتشدقون بتدريس الثقافة الإسلامية يتعلقون
بكل غريب عن الإسلام ويحافون روحه وصميمه ، لأن أغلبهم
بعيد عن الإسلام إما جهلاً وإما نفوراً وإما حذقة وإما
عداوة ، ومع ذلك لا يتورعون عن الارتزاق باسم الاسلام وهم

حرب عليه ، ذلك لأن أهله في غفلة عن إنصافه .

إن الاسلام وريث الأديان السماوية، تشبث بمثالياتها واحتضن المبادئ الانسانية الرفيعة التي نادى بها المسيح ، كما عمل الاسلام على تحقيقها بالحماية من الاعتداء ، وبالدعوة الإيجابية المنظمة على نطاق عالمي ، وهكذا كان الاسلام ولا يزال الساعد الأيمن للمسيحية ، إن لم نقل إن المسيحية أم له ، مما يجعل التضافر بينهما — إن لم نقل التوحد — أمراً ممكناً وواجباً .

وعقيدة شأنها حب السلام ونشره، وحب العلم ونشره - حتى أنقذت الثقافتين الاغريقية والرومانية - جديرة بإعزاز المسلمين والمسيحيين على السواء ، فقد كان الاسلام ولا يزال أبر بالمسيحية من كنائسها الرجعية التي سامت المفكرين الأحرار والأدباء العباقرة والعلماء اللامعين سوء العذاب جزاء إحسانهم للانسانية عشرة قرون كاملة ، حتى فصل ما بين الدولة والكنيسة . نقول إن عقيدة عالمية متسامحة كهذه هي من المسيحية وإليها ، بل هي من الانسانية وإليها ، وعلى هذا لا يجوز أن تقوم في وجه تقديمها أية حوائل ، وهي المهمة لكل تقدم ، ولا يجوز أن يحدد آفاقها زمان أو مكان ، وعلى هذا ينبغي أن تراجع تفاسيرها

مراجعة تقديمية من وقت إلى آخر ، فإن القرآن قد طالب المسلمين بذلك ووجههم الرسول الأعظم محمد بن عبدالله والخليفة الأعظم عمر بن الخطاب هذه الوجهة الحكيمة منذ فجر الاسلام .

وما وقف الاسلام يوماً خلف الهادى والمهدى والرشيد وأضرابهم ممن حاربوا الفكر الحر ، ولا سوغ مذبحة الشيعة الفظيعة سنة ٤٠٧ للهجرة ، ولا أجاز قتل أهل البيت خدمة للأطماع السياسية ، كما أن المسيحية الحق لا صلة لها بموبقات محكمة التفتيش اللعينة ، ولا بمذبحة الالبيين التى حرض عليها البابا إنوسنت ، الثالث ولا بمذبحة الهوجونوت فى باريس سنة ١٥٧٢ لليلاد ، ولا باضطهاد لويس الرابع عشر للبروتستانت بعد زواجه من مربية أولاده الكاثوليكية المتعصبة ، ولا بدعوة لوثر نفسه إلى اضطهاد مناويته وقتل منكرى التعميد بعد أن كان فى أول أمره نائراً على الجود والاضطهاد ، وعلى هذا كان الاسلام والمسيحية فى صميمهما النبيل الحق ، على اتفاق تام فى رعاية الانسانية وحب الخير والسلام والسعادة . وكما عملت المسيحية متأخرة على تفسير الإنجيل على ضوء العلم وجب على الاسلام — وهو السابق إلى ذلك وباعث النهضة ، فى أوروبا ذاتها — أن

يمشي المسيحية الجديدة في نظير هذا التفسير، وعلى الأخص لأن
في القرآن من التنبؤات عن تطور العالم ومخترعات الإنسان
ومستقبل البشرية ما فيه، لو فقه الناس دقائقه وتنبهوا جيداً إليها.

إن واجباً مقدساً على المسلمين المبادرة إلى احتلال مكاتهم
في طليعة موكب الحضارة، وفتحة ذلك أن يفهموا دستورهم
الأجل الفهم العلى الصحيح كما يفعل المسيحيون إزاء كتابهم
المقدس، وقد يؤدي ذلك إلى تقارب المسيحيين والمسلمين حينما
يدركون أن الفواصل بينهم غير كبيرة بل تكاد تكون معدومة
وأن هذه الفواصل نتيجة التأويلات الغير المنطقية والمجانبة لروح
العلم، وأن بالوسع خلق وفدرالية إسلامية مسيحية، قوامها التآلف
والتعاون كأنهما دين واحد، وفي ذلك غنم عظيم للإنسانية.

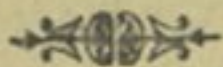
إن مهمتنا توكيد البيان والدعوة إلى مذهب الأصولية العلمية،
كقاعدة للإسلام الصحيح، وأما التفاصيل والجزئيات فبوسع
كل مثقف أن يقيمها عليها سواء اختصت بالطهارة وسننها،
أم بالصلاة وما إليها، كالجنائز والأطعمة والأشربة، والصيام
والزكاة، والزواج، والطلاق، والكفارات، والجنائزات،
والاحكام، والهبسات، والصدقات، والرهون، والشفعة،

واللقطة ، والعق ، والحدود ، والديات ، والوصايا ، والفرائض ،
والجهاد ، والمناسك ، والأضاحي ، والذبائح ، والصيد ، والطب
واللباس ، وأدب الاجتماع ، والدعاء ، والرؤيا ، والفن ، والزهد .
أم بغير ذلك ، بدل التفاسير الكثيرة السخيفة في هذه الموضوعات
عما لا تليق نسبته إلى دين عظيم ، فالاسلام معرفة وفلسفة
وروحانية وسلوك قويم !

وقد فضجت النهضة الدينية في عهد الفاطميين بمصر المحدودة
قلب العالم الاسلامي ، تتطلع إلى نضوجها الثاني على أساس علمي
أصلح في عهدنا الحاضر ، وهو عهد تميز بالزاهة والغيرة الوطنية
الرشيدة ، ولا يكفي أن تقضى حكومة الثورة على الخزعبلات
« الدينية » بل عليها أن تحمي حرية الفكر الذي ينهض بالشعب
و ألا تسمح بالرقابة الرجعية عليه ، إذ لا يمكن أن يترعرع
الإصلاح في الجو الخاق .

والواجب أن يعرف الاسلام كعقيدة روحية عقلية ،
وكشريعة تقدمية . وهذا ما يجعل الاسلام تراثاً للعالم بأسره ،
وليس وقفاً على طائفة أو أمة أو قارة أو ثقافة بعينها .
وثمة واجب على الحكومات الاسلامية والمعاهد الاسلامية

المستنيرة: أن تتضافر على خلق كراسى للثقافة الاسلامية ولادب
لغة القرآن في الجامعات الغربية الكبرى ، على أن تسند هذه
الكراسى إلى صفوة من الجهابذة الغيورين الذين يفهمون روح
الاسلام جيداً ويعرفون أن الدين للأمة — كلغتها ومثالياتها —
رمز لشرفها أو بضعة كبرى منه ، ولا تدعه للجاهلين الذين
يشتغلون بتدريس الاوهام والخزعبلات وحساباتها من أركان
الاسلام أو مقوماته ، ويتسابقون على أساسها في الانتقاص منه
ومن أهله واعتبار صحائفه كصحائف البردى الميتة بل أقل ،
وكل هذا له رجوع سيء على الشعوب الاسلامية حتى في المجال
السياسى .



لماذا أنا مسلم ؟

لسنين بعيدة كتب الدكتور إدغم رسالته « لماذا أنا ملحد ؟ »
التي رددنا عليها برسالتنا « لماذا أنا مؤمن ؟ » ، واليوم يطالبنا
عدد من المستمعين - بأن نجيب على هذا السؤال : « لماذا أنا مسلم ؟ »
ولعل هناك إجابة وافية عنه في محاضراتنا وفي أحاديثنا وكتاباتها
في مدى الثلاثين سنة الماضية ، ومع هذا يطيب لنا أن ندلي هنا
بـ وجز ، رداً على هذا السؤال الوجيه : —

١ — العقيدة الإسلامية سمحة سهلة منطقية ، قوامها وجود
قوة هائلة للالوهية الموحدة منظمة للوجود وفاقاً لسنن حكيمة
أزلية . ولا يمكن تعريف هذه القوة الالهية أى وصف الله سبحانه
وتعالى وصفاً أجمل وأليق مما يطالعنا به الاسلام ، فقد جمع وصفه
بين الفلسفة الصوفية وبين مفهوم الحقائق العلية .

٢ — يأبى الاسلام الشرك بالله ، إذ يعده امتحاناً للعقل ،
وخرافة الخرافات ، كما يأبى أن يحسب الانسان نفسه سخرة للطبيعة

أورقيقاً في الوجود ، فهو مخير إلى حد بعيد ، مسير باعتباره
قطرة في خضم العالم .

٣ - يعتبر الاسلام الأديان السماوية وحدة متكاملة ،
فما نصر تعاليم المسيح مثل الاسلام الذي يعتبر الدين المعاملة ،
والاسلام هو السلام وكل موحد لله ولو لم يكن مسلماً في حظيرة
الاسلام فعلاً ، ويمنع الإكراه في الدين بل في جميع مناحي الحياة .
٤ - يقف الاسلام ضد العدوان وينادي بالحرية والمساواة
والإخاء منذ نشأته ، ويتبرأ من كل ما عداها .

٥ - لا يحصر الاسلام ذاته في بيئة أو قطر أو زمن بل
إن رسالته عالمية تأتي الحصر .

٦ - يكتفي الاسلام بدستور أدبي مقدس للسلوك والمعاش
هو القرآن ، تاركاً للمسلمين أن يكييفوا قوانينهم على ضوء هذا
الدستور الأعظم ، بحيث تكون ملائمة لبيئاتهم وأزمانهم
وأقطارهم وللصالح العام والكرامة الانسانية .

٧ - يعتبر الاسلام العلم هو المصباح المنير المرشد إلى
تفسيره القويم حسب المفهوم الانساني وحسب تجلي الحقائق .

٨ - لا يقر الاسلام واسطة بين الانسان وربه ، فلا كهنوت

في الاسلام ، ويحترم الشخصية الانسانية ويؤمن بمستقبلها ويأبى
أن يعد الانسان أثمياً خسيساً إلى الأبد .

٩ — خلق الاسلام من مذهبه في العدالة الاجتماعية
والديمقراطية الحققة وضعاً سياسياً للحكم يبرز في أى عصر ، وكان
ولا يزال مصدر النعمة المرفورة للشعوب التي أخذت به مخلصه .

١٠ — الاسلام دين عملي كفيل بالنجاح المادى والروحى
تنزه عن الخرافات والغيبيات السخيفة والاهام التي يخلقها الجهل
أو التعصب ، كما تنزه عن التواكل والتسليم الاعمى بالقدرية .

١١ — اعتبر الاسلام قداسة العلم أعظم من قداسة العبادة
الشكلية ، لأنه اعتبر العلم في ذاته أسمى عبادة .

١٢ — جاء القرآن بنبوءات انطبقت على تطور البشرية وعلى
اكتشافاتها ومخترعاتها منذ أربعة عشر قرناً ، مما كشف عنه
عصرنا الذرى .

١٣ — جاء الإنجيل بنبوءات عن رسالة محمد كما جاءت قبله
التوراة بذلك مما لا يحتمل أى تأويل آخر .

١٤ — جاء القرآن بنماذج باهرة من الاحكام ورتبها على
قاعدة الاسباب والنتائج ، بحيث إذا زالت الاسباب زالت النتائج ،

وبهذا فتح صدره لتقبل جميع التشريعات المتمشية مع مبادئه
الرفيعة والكفيلة بسعادة البشرية، وهكذا ساند جميع الحضارات
السامية ورعاها، فاستظلت بجناحه، واستوعبتها فلسفته فامتدت
وترعرعت وأسهمت في إسعاد المسلمين بل البشرية عامة.

١٥ — لا يحتمل الاسلام الرجعية مطلقاً، وإنما شعاره
دائماً الرقي والتقدم، فكل حجر على الحرية أو النهوض مناف له،
بل هو الكفر، وكل إنسان يحترم حرية الفكر والقول لا بد
أنه يناصر الاسلام، ولو لم يكن من أتباعه.

١٦ — يعتبر الاسلام أن الانسان مسئول عن خلاصه
بالعمل، فلا وساطة ولا شفاعة ولا فداء إذا لم تنجحه أعماله،
كما لا يعترف بالشفاعة ولا بالفداء ولا بالوساطة، ويعدّها من
أوهام العامة وجهلة المفسرين الذين انطلت عليهم أوهام كثيرة
أسندوها إلى الأحاديث الملفقة، وما التبس عليهم من ظاهرات الآيات
دون حساب لمعانيها العميقة أو لدلالاتها الرمزية الجليلة.

١٧ — يستطيع المسلم أن يكون موسوياً وعيسوياً ومحمدياً
في آن، فهكذا روح الاسلام وعالميته، ولذلك كان الاسلام
أهلاً لقيادة العالم بقيادة ديمقراطية مشربة بروح المحبة والسلام.

لهذه الأسباب ولأسباب متفرعة عليها آثرت أن أبقى مسلماً
واعترزت بإسلامي ، ووهبت الوقت والجهد في الكشف عن
جواهره على ضوء العلم والمنطق ، تاركاً التوسع في التفسير والتطبيق
العملي لمن يخصهم ذلك من الواعين والمثقفين المتفرغين لهذا العمل
الحبيب .

ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقبس هذه التحية إلى نبي
الاسلام .. إلى البطل في صورة نبي ، فهي أبلغ في دلالتها من أي
شعر نرجيه .

قال كارليل (١) : « العقيدة المحمدية بين العرب أوضح مثل
للظاهرة الثانية من ظواهر تكريم الأبطال ، حيث لا ينظر إلى
البطل كإله ، وإنما كلهم من الله ، كسبي ... فلنحاول أن
نفهم ما كان محمد يعنيه بالدنيا ، أو بالأحرى ما كانت تعنيه الدنيا
لديه ... إنه بالتأكيد لم يكن دجالاً ولا محتالاً واسع الدهاء
ولا مزيفاً ... والفروض القائلة بأنه كان كذلك ليست سوى
نتاج عصر الحادي تكشف عن ألوان من الشلل الروحي تدعو
للأسى ... أفيقوى مدع زائف على إيجاد دين ؟ ... إن

(١) ديسمبر ١٩٥٤ مجلة كتابي ، ص ٥٢ و ٥٤ .

الزائف لا يستطيع أن ينشئ شيئاً ، ولو كان هذا الشيء بيتاً من طوباً وما كان ميرابو ، ولا نابليون ، ولا بيرنز ، ولا كرومويل ، ولا أى مخلوق ليسطيع أن يفعل أمراً ما لم يكن قبل كل شيء صادق الإيمان به . . فإن الاخلاص وصدق الايمان هما أعظم ما يميز جميع أولئك الذين يأتون عملاً من أعمال البطولة .

وقال أيضاً : « الاسلام يرمى بطريقته الخاصة — إلى إنكار الذات ووقع النفس . وهذه هي أسمة حكمة كشفها السماء لعالمنا الارضى . وإنى لأجد في محمد — وفي قرآنه — الصدق والاخلاص ، والتحرر الكامل من الزيغ والضلال قبل كل شيء . وقد ظل دينه طيلة هذه القرون الاثني عشر مرشداً لخمس الجنس البشرى ، وظل — قبل كل شيء — موضع إيمان قلبي عميق . . . لقد كان العرب شعباً ضيق الافق ، فبعث اليهم نبي بطل ، فلم ينقض قرن حتى وصلوا إلى غرناطة من ناحية وإلى دلهى من ناحية أخرى .

هذا هو الدين الذى أحبيته ودعوت إلى محبته ، ولا أعرف ديناً اسمه « الاسلام » سواه جديراً بأن يعتز به ، لأن ما اتصف بعكس الصفات المتقدمة إنما يكون نقيض الاسلام يتبرأ منه كل مسلم ، بل كل مثقف مسلماً كان أم غير مسلم .

الاسلام بين الديمقراطية والشيوعية

في مارس ١٩٥١ عقد معهد الشرق الاوسط، مؤتمره السنوى الخامس عن شئون الشرق الاوسط فزودنا بطائفة من البحوث الاسلامية المفيدة. وقد رأينا ألا يفوتنا التعليق على صفوة من هذه البحوث، وحديثنا اليوم يتناول خطاباً للأستاذ فيليب

ايرلند Philib W. Ireland

يزعم الأستاذ ايرلند - مستشهداً بملاحظات للاستاذ الدكتور حتى - أن الاسلام ليس ديناً فحسب بل هو دولة أيضاً، كما يزعم أن الاسلام يخص تابعيه بالسلام ويخص سواه بالحرب، وأنه لا محل في تعاليمه للشيوعية ولا للديمقراطية. وواضح أن أغلبية هذه الآراء خاطئة من أساسها وإن كانت مذيعة مستشرقاً فاضلاً وجامعياً معروفاً.

إن الاسلام رسالة إنسانية إلهية عالمية الصبغة، ودعوته قائمة أبداً، ولا إكراه يصحبه، وجهاده دفاعى لا يباح إلا للضرورة قصوى على الرغم من صبغته المشروعة، والقرآن

والاحاديث النبوية بمجموعة مبادئ أدبية وتعاليم إنسانية خالدة
ونظم عمرانية تقدمية تصلح لكل زمن ومكان دون أن تتناول
التفاصيل الكثيرة التي تبدل من عصر إلى عصر ، وباعتبار
القرآن سماوي الوحي اكتسب دستوراً قدسية ضمنت له الرجحان
الدائم ، لما توحى به من سمو وتقدم على مر الأعوام ، وقد ترك
تكييف التفاصيل على ضوء تلك المبادئ والتعاليم والنظم .

وبدعى أن الاسلام ينافي الشيوعية لأنه يحترم الملكية وإن
جاء الاحتكار ، كما أنه عدو الاستبداد أو الاستعباد لأن روحه
ضدها ، وقد جاء بديمقراطية صافية عريضة قبل أن يعرف الغرب
نظيرتها ، وليس هذا كلاماً نظرياً بل من صميم الحياة الاسلامية
منذ عهد الرسول ، وإذا كان الخطيب قد أصاب بأقصائه الشيوعية
عن حظيرة الاسلام فإنه لم يصب بأقصائه الديمقراطية ، فالاسلام هو
الديمقراطية بعينها ، وإذا كانت الديمقراطية الاسلامية تستند إلى
دعائم إلهية فإن هذه الدعائم تزيدها قدسية ورسوخاً .

إن الشيوعية لا ترضى عن الاسلام لأنه أخطر عليها من
الديمقراطية المألوفة ، فالأخيرة يستطيعون التحايل على تحويلها
ولكنهم لا يستطيعون فعل ذلك بالقرآن والحديث وتعاليمهما .

ولذلك كان الشيوعيون أعداء الداء للإسلام ، وقد أجاد الأستاذ
أيرلند بعرضه الحصيف لهذا الموضوع .

فعلى حين كان الشيوعيون يتشدقون برعاية الإسلام
وبإنصاف المسلمين ، مستشهدين باعتراف ستالين بالشرعية
الإسلامية في سنة ١٩٣٠ نجدهم يتأرجحون في تصرفاتهم ،
وفي يناير سنة ١٩٥٠ يصرحون بالاستغناء عنها . وهم يستعملون
موظفيهم المسلمين في الإشادة زوراً بمآثر السوفييت في خدمة
الإسلام ، كما استغلوا عدداً من المسلمين الساخطين على الاستعمار
واليائسين من الأوضاع الاقتصادية المنحطة في البيئات الإسلامية
استغلالاً شائناً ، في حين أن الشيوعية والاستعمار والإقطاع
والاستبداد والحكم الأجنبي المرهق كلها سواء في إهدار
الكرامة البشرية . فعلوا ذلك فيما نعتوه « مؤتمر استوكهلم للإسلام » ،
وبلسان المفتي الأكبر لاتحاد جمهوريات السوفييت ، وعلى السنة
أخرى من آذربيجان ، ثم حاربوا ولاء المسلمين لدينهم وعملوا
على تشتيت مجتمعاتهم ونقلهم إلى غير أوطانهم ، كما راحوا
ينتقصون الرسول زاعمين أنه يمثل الإقطاعيين والتجار
الارستقراطيين ، وأنه استغل الإسلام والعرب لمصلحته الخاصة !

وقد كانت روسيا في عهد سابق تأوى طائفة من العلماء المستعربين
الفيورين آخرهم كراتشفونسكى، والآن يشغل ولاية أمورها
بمجازية التراث الاسلامى المجيد ولغة القرآن الشريف .

ولنتقل الآن إلى موقف الاسلام من الديمقراطية الحقيقية .
فالاسلام قائم على الشورى والعدل والمساواة وصيانة الكرامة
البشرية ورعاية المصلحة العامة وحماية حقوق الفرد والمجتمع معاً
واحترام رأى العام ، وهذا كله لباب الديمقراطية الحقبة . ولم يكن
الاسلام يستعين فى التفسير والتشريع بفرد ، بل كان الافتاء
للجماعة بأغلبية الأصوات مع تجنب احتقار رأى الاقلية ، وما
كان الحكم اغتصاباً بل مبايعة ، والأمثلة التاريخية العملية المدعمة
لهذه المبادئ أكثر من أن تحصى ، فليس الإسلام إذن غريباً عن
الديمقراطية بل هو أبوها ، ومهما تنوع نشاطها فالاسلام يحتضنها
بحنان الأبوة . وشتان بين ديمقراطيته وديمقراطية هتلر أو ستالين .

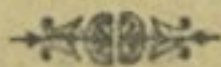
إن الأستاذ إيرلند يعترف بما أثر الاسلام الفائقة فى إزالة
الفوارق بين الناس فيما يتصل بالعنصر أو اللون أو الموطن ، ومع
ذلك يقول إن الإسلام مجرد من عنصر هام هو عدم اشتراك غير
المسلمين فى الحكم ، وهذا يجعله غير مستكمل لشروط الديمقراطية .

الحقيقية ، كما يقرر أن الإسلام غير حائز لصفة الديمقراطية السياسية . وهذا الكلام في حقيقته غير صحيح . فقد نشأ النظام الاسلامي في شبه الجزيرة العربية ، والقرآن والحديث وتفسيرهما كان موكولا للمسلمين ، ولكن عند ما اتسعت الدولة الإسلامية وشملت غير المسلمين كان لهم نصيب وافر في نواحي الحكم ، وإذا كانت رئاسة الدولة بقيت للخليفة المسلم فنظير ذلك في إنجلترا وفي أقطار عريقة في ديمقراطيتها وأنه لرمز تقليدي فحسب . وفي لبنان رئيس الدولة مسيحي ورئيس الوزراء مسلم بحكم التقليد دون أن يقول أحد إن هذا الوضع يجعل لبنان دولة غير ديمقراطية ، وانتخاب مسلم بالذات رئيساً لجمهورية باكستان لم يجردها من ديمقراطيتها .

ورأينا إزالة هذا التخصيص لإزالة تامة ، وسوف يحدث ذلك مستقبلاً ، لأن الدوافع الأولى التي أوجبت الديمقراطية الإسلامية إلى الاحتياط خوفاً على مستقبل الإسلام قد زالت تماماً وبقيت روح الإسلام الديمقراطية قوية ناصعة ، وهذه الروح هي التي خلقت جمهورية باكستان الإسلامية الديمقراطية وجمهورية سوريا الإسلامية الديمقراطية .

وعلى هذا فزعم الأستاذ ايرلند في غير محله واستشهاده
بسلوك الدهماء ومن إليهم ~~في~~ القطر أن ذلك لا معنى له ،
فأمثال هؤلاء يذوبون مع الزمن ذوبان الثلج تحت حرارة
شمس المعرفة .

ولا ريب عندنا إطلاقاً في أن الإسلام سيظل منبعاً
لديمقراطية الحققة وستشمل آفاق رعايته عناصر أعظم وشعوباً
أضخم ، وسيدشغل أكثر فأكثر باللباب طارحاً عنه الفشور
التي تجمعت نتيجة لظروف خاصة أو لطوارئ وقتية .



شعلة تخبو ..

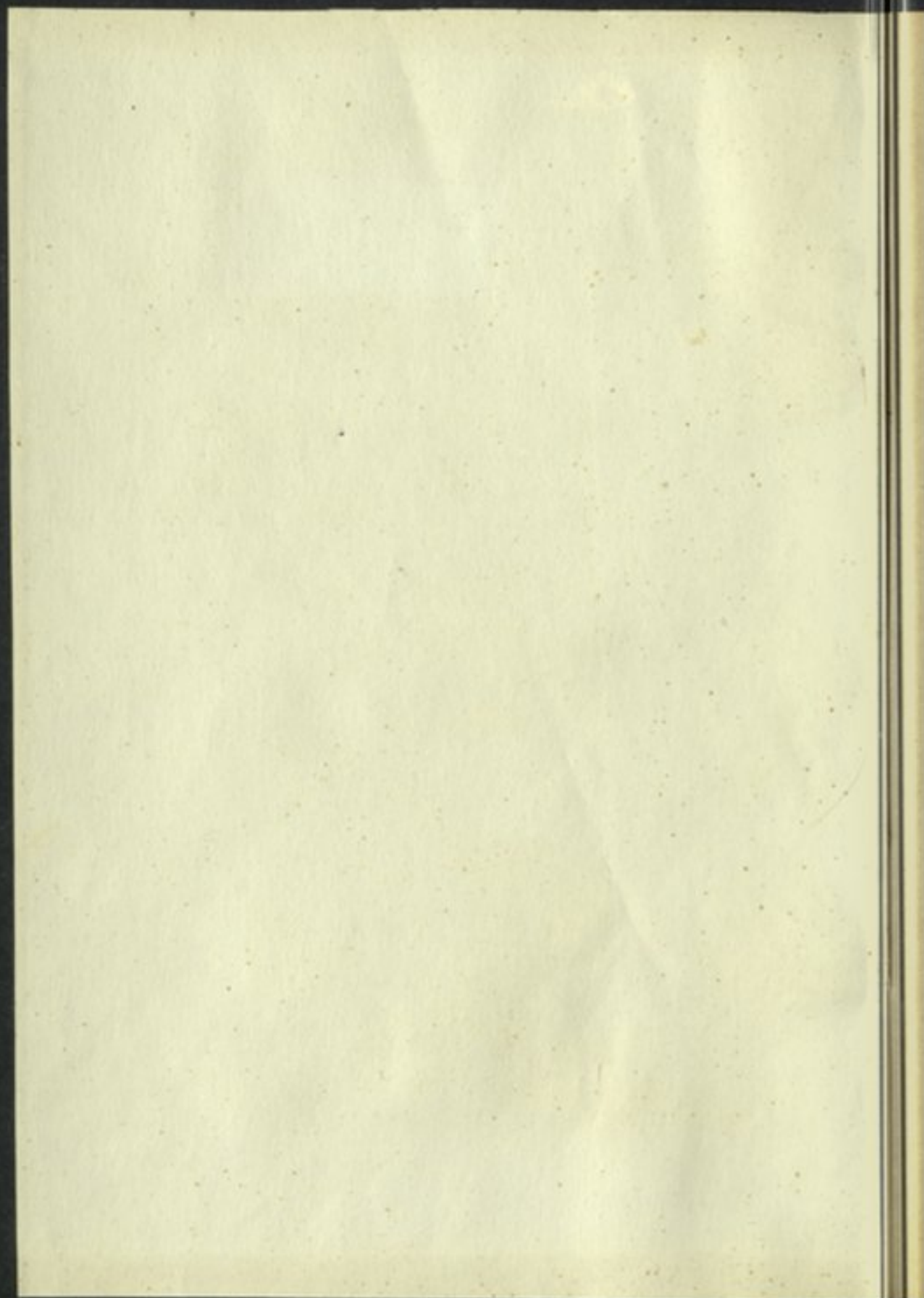
وبعد .. أيها القارئ الكريم
كم وددنا أن تصحب د. أبا شادي ، طويلا في رحلاته الكشفية
الجريئة ، وهو يرتاد منابع الدين الحنيف .
ولكن إرادة السماء أقوى وأحكم ..

فحين كانت سطور هذا الكتاب تأخذ طريقها إلى
الصحائف ، لتتأمل حياة نابضة ، تصافح القراء ، وتتحدث إليهم
حديث د. أبي شادي ، رجل الإنسانية ، والمحبة ، والسلام ..
كان قلبه من وراء البحار يخفق آخر خفقاته ، ثم ينشر
الشراع ، ويمضي عبر الخلود ، إلى أحضان الابدان السماوية .
لقد انطفأت شعلة هذه العبقريّة في ديار الغربة ، وفاضت روح
أبي شادي مساء الثلاثاء ثاني عشر أبريل ١٩٥٥ بواشنطن .
فعزاء لمصر ، والعروبة ، والإنسانية .

فهرس

ص			
٣	تمهيد	—	١
٥	مقدمة	—	٢
١٩	أركان الاسلام	—	٣
٢٥	عالمية الاسلام	—	٤
٣٢	الشركة المقدسة	—	٥
٣٨	نشأة التصوف الاسلامي	—	٦
٤٤	المعجزات المحمدية	—	٧
٥١	الاسلام والصالح العام	—	٨
٥٩	الارتداد عن الاسلام	—	٩
٦٧	الاسلام والحضارة	—	١٠
٧٥	الاسلام والغرب	—	١١
٨٥	روح الاسلام	—	١٢
٩٣	هل الخالق مسئول عن الخلق ؟	—	١٣
١٠٠	الحقيقة ضالة المؤمن	—	١٤
١٠٨	تعاون الاسلام والمسيحية	—	١٥
١١٤	لماذا أنا مسلم ؟	—	١٦
١٢٠	الاسلام بين الديمقراطية والشيوعية	—	١٧
	شعلة تضبو	—	١٨







516
ابو شادي ، احمد زكي
الاسلام الحى

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002566

American University of Beirut



297

A16: A

General Library

297
A5241A
C.1